شكوى القرآن

الشيخ محمد اليعقوبي

سلسلة محاضرات ألقاها المدعي العام للدفاع عن القرآن

سماحة آية الله الشيخ محمد اليعقوبي ((دام ظله الوارف))

بمناسبة حلول العام الدراسي الجديد على طلبة

الحوزة العلمية الشريفة في النجف الأشـــــــرف

بدأت بتاريخ ١٩ / محرم / ١٤٢٢

إصدار وتوزيع

مركز الامام المهدي (عج) للدراسات الاسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاء بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلاَئِكَةُ تَنزِيلاً،

الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْماً عَلَى الْكَافِرِينَ

عَسِيراً، وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ

مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً، يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً، لَقَدْ أَضَلَّنِي

عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً، وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً، وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً، وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلا، وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً

]سورة الفرقان : ٢٥ ــ ٣٣[

عن النبي الكريم ((صلى الله عليه وآله)) قال :

((يجيء يوم القيامة ثلاثة يشكون : المصحف والمسجد والعترة، يقول المصحف :

يارب حرّفوني ومزقوني، ويقول المسجد : يا رب عطّلوني وضيعّوني، وتقول العترة :

يارب قتلونا وطردونا وشردّونا، فأجثو للركبتين في الخصومة فيقول الله عزوجل لي :

انا أولى بذلك منك))([١])

عن ابي عبد الله ((عليه السلام)) قال :

((ثلاثة يشكون إلى الله عز وجل : مسجد خراب لاٌ يصلي فيه أهله، وعالم بين جهّال، ومصحف معلّق قد وقع عليه الغبار لاٌ يقرأ فيه))([٢])

مقدمة المركز

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد وآله اجمعين

ليس القرآن كتاباً للتلاوة فحسب وليس كتاباً عقائدياً جاء ليقرر عقيدة أو يشرع شريعة فحسب، بل هو دستور كامل وشامل جاء ليربي أمة ويربي مجتمعاً على ضوء تلك العقيدة والشريعة.

والقرآن هو كتاب الحياة ولذا يرى فقيهنا ومفكرنا الشيخ اليعقوبي ان سبب انحطاط المسلمين هو الابتعاد عن القرآن الكريم، ويرى ان أول شريحة في المجتمع تقع عليها المسؤولية في اعادة القرآن إلى الحياة هي الحوزة الشريفة بطلبتها وفضلائها وخطبائها وعلمائها لان صلاح المجتمع من صلاح الحوزة حسب مانصت عليه الاحاديث الشريفة.

ويحث على قراءة القرآن والتدبر في معانيه ويشير إلى الدروس المستفادة من طريقة القرآن في إصلاح المجتمع وهدايته، ومنها : الالتفات إلى جانب العلل اكثر من المعلولات، وضرورة بناء الجانب الاخلاقي والعقائدي، والتدريجية في الهداية والاصلاح، وإلفات نظر الأمة إلى المرتكزات الاساسية لكيانها الذي لا يحفظ الا بها، كالإمامة والولاية ومشاققة الكافرين، والتسلية وتطييب الخاطر، والحث على طلب العلم، وتكرار واستمرار جرعات العلاج، وسلوك مختلف الطرق لهداية الإنسان.

وفي بحث دواعي الاهتمام بالقرآن الكريم يشير فقيهنا ومفكرنا إلى علاج القرآن الناجح والكامل لجميع أمراض البشرية، وطلب الكمال والسمو، والتأسي برسول الله ((صلى الله عليه وآله)) ، ونيل الثواب العظيم، وعلاج جميع المشاكل، وتعلم العلوم، والفوز بشفاعة القرآن.

ويحث على اعادة القرآن الكريم إلى مناهج الدراسة الحوزوية على مستويين : المقدمات والسطوح، والدراسات العالية، ومن خطواتها : حفظ وتلاوة القرآن الكريم، ودراسة علومه، وفتح باب التخصص في دراساته، ودراسة تفسيره بشكل معمق، ووضع مناهج للدروس في مفاهيم القرآن وتصوراته ونظرياته واطروحاته وفلسفته في الكون والحياة.

وأول خطوة في طريق الأهتمام بالقرآن الكريم أوصى سماحة الشيخ ((دام ظله الوارف)) قائلاً : ((واني هنا ألزم كل من يرى لي حقاً عليه سواء كان اخلاقياً أو شرعياً ان يختم القرآن على الأقل في السنة مرتين)).

وعنوان الكتاب الذي يتشرف مركزنا بطباعته هو ((شكوى القرآن)) وهو كتاب مقتبس من الأحاديث الشريفة التي تشير إلى شكوى القرآن في يوم القيامة.

مركز الإمام المهدي ((عليه السلام)) للدراسات الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما هو أهله وصلى الله على رسوله والأئمة الميامين من آله وسلم تسليماً كثيرا.

} رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي{[[٣]].

الافتتاح

اعتاد الناس افتتاح الندوات والمؤتمرات واللقاءات وبرامج الاذاعة والتلفزيون بتلاوة آيات من الذكر الحكيم تبركاً بها وتعظيماً لها وقد جرى على ذلك حتى غيرالمسلمين مما يدلُّ على هيبة هذا الكتاب الكريم حتى في قلوب اعدائه، فما أحرانا نحن طلبة الحوزة الشريفة ان نفتتح دروسنا بالقرآن الكريم وينبغي ان يكون افتتاحاً واعياً متفاعلاً مع روح القرآن ومضامينه ومعانيه وليس افتتاحا شكليا وكأنه مجرد نشيد وترنيمه أو عوذة وتميمة.

شكوى القرآن

وقد اخترت ان أبدأ من الحديث الشريف المروي في الكافي والخصال([٤]) عن ابي عبدالله ((عليه السلام)) قال : ((ثلاثة يشكون إلى الله عز وجل مسجد خراب لايصلي فيه أهله وعالم بين جهّال ومصحف معلّق قد وقع عليه الغبار لايقرأ فيه)) واوضح مصاديق العالم هم أهل البيت ((عليه السلام)) وخصوصاً الإمام الفعلي القائم بالأمر (ارواحنا له الفداء) فالثلاثة الذين يشكون هم القرآن والعترة والمسجد ويدل عليه ما ورد في حديث آخر عن النبي ((صلى الله عليه وآله)) قال : ((يجيء يوم القيامة ثلاثة يشكون : المصحف والمسجد والعترة يقول المصحف يا ربّ حرّفوني ومزقوني،ويقول المسجد : يارب عطّلوني وضيّعوني وتقول العترة يارب قتلونا وطردونا وشردونا، فأجثو للركبتين في الخصومة فيقول الله عز وجل لي : انا أولى بذلك منك))([٥]).

ونستفيد من هذا الحديث في اكثر من أمر :

الأول : ان اسس بناء الأمة المسلمة ومقومات كيان المجتمع المسلم هي هذه الاركان الثلاثة، لذا تم التركيز عليها ،والحديث على هذا يكون بمعنى حديث الثقلين المشهور : ((اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً وقد نبأني اللطيف

الخبير انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة))([٦]). والثقلان هما اثنان من هذه الثلاثة، اما الثالث وهو المسجد فهو المحل الذي يمارس الثقلان من خلاله دورهما في المجتمع ويرتبطان في اجوائه المقدسة بالأمة.

الثاني : الإشعار بأن الأمة ستعرض عن هذه الثلاثة وستخلفها وراء ظهورها لذلك أخبر ((صلى الله عليه وآله)) عن الشكوى كحقيقة واقعة وهو ((صلى الله عليه وآله)) يحذر الأمة من هذا التضييع ويبالغ في العقوبة عليه حتى كانَّ الله تبارك وتعالى هو الخصم المطالب بحقها وهو الحكم العدل، وما دامت هذه الثلاثة هي اسس كيان المسلمين فتضييعها يعني زوال هذا الكيان وفناءَه لذا كان لزاماً علينا ان نفرد كل واحد منها ببحث خاص لبيان اثره في حياة الأمة وعظيم خسارتها بالاعراض عنه، وأساليب تفعيل دوره في حياة المسلمين وارى من واجبي ان انصب نفسي (مدعياً عاماً) كما يعبرون اليوم لارفع هذه الشكاوى الثلاث وابدأ برفع شكوى ثقل الله الأكبر: القرآن الكريم وهو الحبل الممدود من الله تبارك وتعالى إلى عباده، هذه الشكوى التي يرفعها رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) يوم القيامة :} وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا{.([٧]) وحذّر المسلمين من هذا الخطر حين عرض عليهم سبب انحراف الامم السابقة وهو ترك ما انزل الله اليهم، قال تعالى : } قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ{([٨]). فمن تمسك به فقد سلك الطريق الموصل إلى الله ومن أعرض عنه هلك وهوى.

ومنشأ هذه الشكوى اعراض مجتمعنا المسلم حتى الملتزمين([٩]) منهم عن تلاوة القرآن والاهتمام به وتدبر آياته فضلاً عن اعطائه دور الريادة والامامة في الحياة ليكون هو النبراس والدليل الذي يهتدي به المهتدون في جميع تفاصيل الحياة، حتى عاد منسياً عندهم ولا يذكرونه الا قليلا في شهر رمضان المبارك، ونحن نحث على زيادة الاهتمام بالقرآن في هذا الشهر المبارك للعلاقة الحميمة بينهما، حتى ورد في الحديث : ((ان لكل شيء ربيعا وربيع القرآن شهر رمضان))([١٠]) لكن هذا لايعني اهماله أو قلة التعرض له في غيره من الشهور.

البعد عن القرآن سبب انحطاط المسلمين

ان اختيار الحديث عن هذه الشكوى لم يأت اعتباطاً وليس هو من الترف الفكري بل هو ناشئ عن بصيرة نافذة ونظر ثاقب في تحليل واقع المسلمين وما تردت اليه اوضاعهم حتى صاروا يهدون مقتلهم على طبق من ذهب إلى اعدائهم الذين هم ابليس والنفس الامارة بالسوء وصنيعتها الغرب الكافر الذي جهد على ان يفصل بين المسلمين وعنوان عزهم وشرفهم وكرامتهم وهو القرآن وها هو غريب بينهم، لذا ثارت في قلبي شجون.

ان اسباب انحطاط الأمة وما آلت اليه من ضعف وانحلال هو اعراضها وعدم تمسكها بحبل الله تبارك وتعالى الذي أمرهم بالاعتصام به فقال عز من قائل :} وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ{[١١]]، وقد بين رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) هذا الحبل فقال ((صلى الله عليه وآله)) : ((واني مخلف فيكم الثقلين : الثقل الأكبر القرآن والثقل الأصغر عترتي أهل بيتي هما حبل الله ممدود بينكم وبين الله عز وجل ما ان تمسكتم به لم تضلوا، سبب منه بيد الله وسبب بايديكم . . . الحديث))([١٢]).

ما تمسك بالقرآن من اعرض عن العترة الطاهرة

ولكن الأمة تركت كتاب الله وابتعدت عنه منذ ان اقصت العترة الطاهرة عن مكانها الذي اختارهم الله سبحانه له لعدم امكان الفصل بينهما معرضين عن قوله تعالى :} وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ{[[١٣]] ومن خطل القول وتسويلات الشيطان ونزغات النفس الامارة بالسوء ان يقول قائل (حسبنا كتاب الله) التي لايزال يكررها وينفثها الشيطان على لسان من يريد ان يقوض بناء الاسلام من اسسه بما فيها القرآن الذي يدعي انه حسبه لانه يعلم ان القرآن انما يكتسب فاعليته ويؤدي دوره بالقائم به الواعي لأحكامه ومفاهيمه وهم العترة وهذه الفتنة ــ الفصل بين القرآن والناطق به ــ قديمة وممن ابتلي بها امير المؤمنين حينما أجبر على التحكيم وعلى ان يجعل القرآن حكما، قال ((عليه السلام)) : ((هذا القرآن انما هو خط مستور بين الدفتين لاينطق بلسان ولا بد له من ترجمان وإنما ينطق عنه الرجال))([١٤]) فالكتاب والعترة صنوان لا يفترقان ولا يمكن التمسك باحدهما دون الآخر فان أهل البيت ((عليه السلام)) هم باب الله الذي لايؤتى الا منه وقد امرنا باءيتان البيوت من ابوابها.

فما يزعمه غيرنا من اهتمامه بالقرآن أكثر منا باطل جزماً، نعم، اهتموا بمخارج حروفه وتحسين الصوت إلى حد الغناء بقراءته وضبط قواعد التجويد التي وضعوها هم وبعضها مخالف للحكم الشرعي، وهذه كلها اهتمامات قشرية والمهم هو استيعاب المحتوى والمضمون والعمل به فان اللفظ هو قشر والمعنى هو اللب والمتكلم لايلحظ اللفظ بنفسه بل يتخذه وعاءً للمعنى وآلة لايصاله إلى المخاطب والمعنى هو المراد الحقيقي للمتكلم، وقد وردت أحاديث كثيرة في ذم المتشدقين بألفاظ القرآن وحروفه المضيعين لمعاني القرآن وحدوده ففي الحديث المشهور ((كم من قارئ للقرآن والقرآن يلعنه))([١٥]) وهو خصمه لانه غير عامل بما فيه وفي حديث عن ابي جعفر ((عليه السلام)) قال: ((قراء القرآن ثلاثة: رجل قرأ القرآن فاتخذه بضاعة واستر به الملوك واستطال به على الناس فذاك من أهل النار، ورجل قرأ القرآن فحفظ حروفه وضيع حدوده فذاك من أهل النار، ورجل قرأ القرآن فوضع دواء القرآن على داء قلبه فاسهر به ليله وأضمأ به نهاره وقام به في مساجده وتجافى به عن فرشه فبا ولئك يدفع الله العزيز الجبار البلاء، وباولئك يديل الله من الاعداء ــ أي ينصرهم على الاعداء ــ وباولئك ينزل الله الغيث من السماء فوالله هؤلاء قراء القرآن اعز من الكبريت الأحمر))([١٦]). وفي حديث عن الإمام الحسن ((عليه السلام)): ((وإن احق الناس بالقرآن من عمل به وإن لم يحفظه وابعدهم منه من لم يعمل به وإن كان يقرأه))([١٧]).

فيبدو من هذا ان خطّة الفصل بين الكتاب والعترة وبالتالي تفريغ الكتاب من محتواه ومضمونه والتشجيع على الاهتمام بألفاظه فقط قديماً نبه اليها المعصومين ((عليهم السلام)) فأي اهتمام بالقرآن وهو يقرأ قوله تعالى :} وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ{([١٨]) ثم يعرضون عمن اختارهم الله تبارك وتعالى ويقدمون غيرهم وقد جعل الله تعالى هذا الأمر كله في كفة ورسالة الاسلام كلها في كفة أخرى :} يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ{([١٩])، وأي اتباع للقرآن الذي يقول برفيع صوته :} قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى{([٢٠]) وهم ينصبون العداء لأهل بيت النبوة ويتتبعونهم تحت كل حجر ومدر ولو كان لهم ادنى فهم لكتاب الله لضموا هذه الآية إلى قوله تعالى :} قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلا مَن شَاء أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً{([٢١]) ليحصلوا على حقيقة ان اهل البيت هم السبيل الذي امر الله تعالى باتباعه بقوله :} وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي

مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ{[٢٢]} وبه فسر الامام الباقر ((عليه السلام)) الآية فقال ((عليه السلام)) : ((نحن السبيل فمن ابى هذه السبل فقد كفر))[٢٣]، ولا أقول ان كلمة (حسبنا كتاب الله) والابواق التابعة لها التي ترددها إلى الآن وتطلب الدليل من القرآن فقط على أي شيء يقال لهم هي كلمة حق يراد بها باطل بل هي كلمة باطل يراد بها باطل وهؤلاء انما يريدون بذلك هدم اسس الاسلام لان الاكتفاء بالقرآن ـــ كما يزعمون ـــ يعني استغناءهم حتى عن رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) وهو يعني الجهل بكل تفصيلات الشريعة، فان رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) والأئمة المعصومين من آله هم القائمون على أمر الكتاب والمبينون لاحكامه وهذه العلوم كلها بين يديك هل تستطيع ان تكون طبيباً أو مهندساً من دون اخذه على يد المتخصصين العارفين باسراره وفك رموزه ؟ فكيف بالقرآن الذي هو :} تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ{[٢٤]} و}مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ{[٢٥]} وفيه صلاح البشرية جميعاً ولكل الأزمنة} مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ{[٢٦]} وقد نبه رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) إلى هذا الخطر بقوله : ((لا ألقين أحدكم متكئاً على اريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول : لاندري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه))[٢٧].

ولكن اعداء الله سبحانه وأتباع الشيطان علموا ان القرآن هو حصن هذه الأمة الحامي لها من الزيغ والانحراف وان أهل البيت ((عليهم السلام)) هم القيمون عليه فخططوا لإبعادهم عن الأمة فبقيت الأمة بلا راع والحصن بلا حام، واصبحت فريسة سهلة بيد الأعداء والمتربصين بها السوء، وها أنت تراها تتزعزع لابسط شبهة وتسقط في أول فتنة وتنهار بأول اختبار (وهذه أعظم ثلمة انثلم بها علم القرآن وطريق التفكر والتفكير الذي يندب اليه، ومن الشاهد على هذا الأعراض قلة الأحاديث المنقولة عنهم ((عليهم السلام)) فانك اذا تأملت ما عليه علم الحديث في عهد الخلفاء من المكانة والكرامة وما كان عليه الناس من الولع والحرص الشديد على أخذه ثم احصيت ما نقل في ذلك عن علي والحسن والحسين وخاصة ما نقل من ذلك في تفسير القرآن لرأيت عجباً : اما الصحابة فلم ينقلوا عن علي ((عليه السلام)) شيئا يذكر واما التابعون فلا يبلغ ما نقلوه عنه ((عليه السلام)) ـــ ان احصي ـــ مئة رواية في تمام القرآن، واما الحسن ((عليه السلام)) فلعل المنقول عنه لايبلغ عشراً، واما الحسين ((عليه السلام)) فلم ينقل عنه شيء يذكر ،وقد انهى بعضهم الروايات الواردة في التفسير إلى سبعة عشر الف (ذكره

السيوطي في الاتقان) حديث من طريق الجمهور وحده، وهذه النسبة موجودة في روايات الفقه أيضاً)([٢٨]).

فماذا كانت خسارة القرآن بابعاد أهل البيت ((عليهم السلام)) عن ممارسة دورهم الذي اختارهم الله تبارك وتعالى له :

١ ــ غياب الكثير من العلوم الحقيقية التي لايفهمها من الكتاب الا هم ((عليهم السلام)).

٢ ــ تراجع القرآن عن ممارسة دوره في اصلاح النفس والمجتمع لانه والعترة صنوان لايفترقان ولا يستطيع ان يكون فاعلاً في حياة الامة الا بأيديهم .

٣ ــ وقوع القرآن فريسة بأيدي المتلاعبين واصحاب الاهواء والاغراض الشخصية بل والاعداء أيضاً, فترى كلاً منهم يجد دليلاً على معتقده في كتاب الله حتى الخوارج كانوا يستدلون بالقرآن كما حصل بعد التحكيم بينهم وبين ابن عباس فنهاه علي ((عليه السلام)) عن الاحتجاج بالقرآن لانه ((حمّال ذو وجوه))([٢٩]) وراحت معانيه الحقيقية ضحية التأويلات التي حذر القرآن من اتباعها :} فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ {، لكن الجواب واضح وأعطاه القرآن مقدماً :} وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ{ ([٣٠]) ، واوضح مصاديق الراسخين في العلم هم أهل البيت ((عليهم السلام)).

٤ ــ تشتت الامة وضياعها وتمزيقها لان عصمتها ومحور تجمعها القرآن وأهل البيت بحسب تفسير رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) لقوله تعالى :} وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ{([٣١])، فقال ((صلى الله عليه وآله)) : انهم الكتاب والعترة، وقد عبرت الزهراء ((عليها السلام)) عن هذه العصمة في خطبتها في مسجد رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) : ((وجعل إمامتنا نظاما للملة))([٣٢]) أي بها تنتظم امورهم وتستقر، فكانت نتيجة ابتعادهم عن أهل البيت فناءهم بيد المتسلطين وعبدة الاهواء الذين استغلوا نفس هذا القرآن ليهلكوا الحرث

والنسل وكان من (وعاظ السلاطين) والسائرين في ركابهم من يبرر لهم هذه الافعال المنكرة، كقوله تعالى : } أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ{ ([٣٣])، فجعلوا اولئك الكفرة الفسقة اولياء لامور المسلمين.

الوصية بحفظ القرآن

فلا تغرنكم دعوى هؤلاء بانهم ملتزمون بالقرآن أكثر منا([٣٤]) واحفظوا القرآن لانه أهل للحفظ والعمل به وكونوا كما أوصاكم أمير المؤمنين ((عليه السلام)) قبيل استشهاده : ((الله الله بالقرآن لا يسبقكم إلى العمل به غيركم))([٣٥])، وفي وصية النبي ((صلى الله عليه وآله)) لأمير المؤمنين في العمل باربعين حديثاً قال ((صلى الله عليه وآله)) : ((وان تكثر من قراءة القرآن وتعمل بما فيه))([٣٦]).

القرآن طريق الوصول إلى المعرفة بالله تبارك وتعالى

فمن اراد الله سبحانه وطلب الوصول اليه لان أول الدين معرفته تبارك وتعالى فعليه بالقرآن فقد ((تجلى الله تعالى في كتابه لخلقه ولكن لا يبصرون))، كما هو مروي عن أمير المؤمنين ((عليه السلام)) ومن اراد اصلاح نفسه وتهذيبها وتخليصها من امراضها فعليه بالقرآن ومن اراد اصلاح مجتمعه وإقامة أمره على السلام والسعادة والطمأنينة فعليه بالقرآن فانه الدليل لكل هدى والمرشد لكل خير وصلاح، ومن العجب انك حين يعطل جهاز تذهب إلى الجهة المصنّعة له لكي تصلحه فان صانع الشيء خبير به، واذا مرضت ــ لاسمح الله ــ فتذهب إلى الطبيب المختص لكي يعالج المرض، ثم عندما تريد ان تصلح النفس الانسانية ذات الاسرار الغامضة الخافية عن صاحبها فضلاً عن غيره، أو ان تضع نظاماً يكفل للبشرية سعادتها واصلاحها تلتمس العلاج عند نفس البشر الناقصين العاجزين القاصرين. ولا تذهب إلى صانع هذا الانسان وخالقه ومصوره والعارف بالنفس البشرية.

وقد صدقت ذلك ــ أي فاعلية القرآن في اصلاح النفس والمجتمع ــ التجربة العظيمة لرسول الله ((صلى الله عليه وآله)) فان مقارنة بسيطة بين مجتمع ما قبل الاسلام وما بعده والنقلة الضخمة التي حصلت للأمة من أناس همج جهلة متشتتين قد تفشت بينهم الرذائل يتفاخرون

بالمنكرات والقبائح إلى أمة متحضرة كريمة الاخلاق ذات نظام لم ولن تعرف البشرية البعيدة عن الله سبحانه مثله وبفترة قصيرة وكل ذلك ببركة هذا الكتاب الكريم وحمله العظيم.

حاجتنا إلى اعادة القرآن إلى الحياة

فنحن اذن بحاجة إلى اعادة فاعلية القرآن في حياة المسلمين واخراجه من عزلته بحيث اقتصر وجوده على المآتم التي تعقد للموتى والعوذ والاحراز .

وقد ورد في بعض الكلمات ((إن آخر هذه الأمة لاينصلح الا بما صلح به اولها))، وقد صلح أولها بالقرآن فاذا اردات الأمة ان تستعيد عافيتها وتعود إلى رشدها فعليها بالقرآن، عن المقداد ((رضي الله عنه)) عن رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) انه قال في حديث : ((فاذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فانه شافع مشفع وماحل مصدق ومن جعله امامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار وهو الدليل يدل على خير سبيل))([٣٧])، وقال أمير المؤمنين ((عليه السلام)) في بعض خطبه : ((واعملوا ان هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش والهادي الذي لايضل، والمحدث الذي لايكذب، وما جالس هذا القرآن أحد الا قام عنه بزيادة أو نقصان : زيادة في هدى ونقصان من عمى ، واعلموا انه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة ولا لاحد قبل القرآن من غنى فاستشفعوه من ادوائكم واستعينوا به على لأواءكم فان فيه شفاءاً من أكبر الداء وهو الكفر والنفاق والغي والضلال فاسألوا به وتوجهوا اليه بحبه ولا تسألوا به خلقه إنه ما توجه العباد إلى الله بمثله، واعملوا انه شافع مشفع وقائل ومصدق وانه من شفع له القرآن يوم القيامة صدق عليه فانه ينادي مناد يوم القيامة : ((الا إن كل حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله غير حرثة القرآن))، فكونوا من حرثته واتباعه واستدلوه على ربكم واستنصحوه على انفسكم واتهموا عليه اراءكم واستغشوا فيه اهواءكم))([٣٨]).

اهتمام النبي ((عليه السلام)) وأهل بيته بالقرآن

ولقد بلغ اهتمام اهل البيت ((عليهم السلام)) بالقرآن اقصاه حتى قال الإمام السجاد ((عليه السلام)) : ((لو مات من بين المشرق والمغرب لما استوحشت بعد ان يكون القرآن معي))([٣٩]).

لقد أمر رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) بتلاوة القرآن : } وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً{ ([٤٠]) وأمره تبارك وتعالى بالاستعداد لتحمله بالالتزام بنافلة الليل فقال تعالى : } إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً، إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءًا وَأَقْوَمُ قِيلاً{ ([٤١]) ولم يكتف رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) بتلاوته بل كان يطلب من عبد الله بن مسعود ان يقرأ القرآن عليه فيعتذر اليه ((صلى الله عليه وآله)) ويقول له : ((إنه نزل عليك يا رسول الله وتريد ان تسمعه مني. فيقول ((صلى الله عليه وآله)) : أحب ان اسمعه منك. فيقرأ عبدالله وعينا رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) تفيض من الدمع)). يريد بذلك ان يمتع جميع جوارنحه بالقرآن عينه واذنه وقلبه ولسانه وهو يعلم ان لكل جارحة طريقتها في اكتساب المعرفة فاراد ــ وهو أكمل الخلق ــ ان تتكامل لديه كل اسبابها، وقد ورد حديث معناه ان من فقد حساً ــ أي احد حواسه الخمس ــ فقد فقد علماً، فيريد ان يستفيد من معارف القرآن عن طريق جميع جوارحه، لذا ورد استحباب ان يقرأ القرآن بصوت مسموع. هذا غير ما ورد في فضل وثواب الانصات إلى القرآن والنظر في المصحف وان كان يحفظ ما يقرأ حتى لو كان في الصلاة، مما سيأتي إن شاء الله تعالى في مجموعة الاحاديث الشريفة.

وكان ((صلى الله عليه وآله)) يتفاعل مع القرآن، قرأ ((صلى الله عليه وآله)) سورة الرحمن على المسلمين وهم منصتون له فقال ((صلى الله عليه وآله)) : لقد قرأتها على الجن فكانوا احسن استماعاً منكم ، قالوا وكيف يارسول الله. قال ((صلى الله عليه وآله)): كانوا كلما قرأت:} فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ{([٤٢]) يقولون هم : لابشيء من آلائك ربنا نكذّب، وإذا قرأ قوله تعالى :} أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى{([٤٣]) يقول ((صلى الله عليه وآله)) : بلى سبحانك اللهم، لانه كان يسمع من الله تبارك وتعالى مباشرة من خلال السطور. وسيأتي ان الإمام الكاظم ((عليه السلام)) كان يقرأ وكأنه يخاطب انساناً، قرأ رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) سورة الزمر على شاب نقي القلب طاهر السريرة فلما وصل إلى قوله تعالى :} وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً{([٤٤]) وقوله تعالى :} وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً{([٤٥]) شهق ذلك الشاب شهقة كانت فيها نفسه، وقرأ ((صلى الله عليه وآله)) سورة هل اتى على الانسان حين من الدهر وقد انزلت عليه وعنده رجل اسود فلما بلغ صفة الجنان

زفر زفرة فخرجت نفسه فقال رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) : أخرج نفس صاحبكم الشوق إلى الجنة ، فهؤلاء ممن وصفتهم الآية الشريفة :} الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ{[٤٦]}.

دواعي الاهتمام بالقرآن

وقد ظهر مما سبق اكثر من محفز للاهتمام بالقرآن الكريم ألخصها مع نقاط جديدة غير ما سمعته إن شاء الله تعالى في الايات الكريمة والأحاديث الشريفة :

١ ــ إنه العلاج الناجح والكامل لامراض البشر النفسية والاجتماعية والروحية بل والجسدية ايضاً، كما سياتي في بعض الأحاديث الشريفة.

٢ ــ عدم استغناء طالب الكمال والسعادة الابدية ــ وهو الهدف الاسمى وغاية الغايات ــ في الدنيا والاخرة عنه والاهتداء بهديه والأخذ بسبيله، ويزداد سمو الانسان وتكامله كلما ازدادت استفادته من القرآن.

٣ ــ ان في الاهتمام به تأسياً برسول الله ((صلى الله عليه وآله)) وبأهل بيته الكرام وقد أمرنا بذلك في قوله تعالى :} لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً{[٤٧]}.

٤ ــ ان القرآن هو رسالة الحبيب المطلق والانسان لايمل من اعادة قراءة رسالة حبيبه وملء النظر منها والتدبر في معانيها والله تبارك وتعالى هو المحبوب الحقيقي لاجتماع اسباب المحبة فيه، فان الحب اما ان يكون لكمال المحبوب وحسنه وقد اجتمعت صفات الكمال والاسماء الحسنى فيه تبارك وتعالى، أو يكون لاجل صدور الفضل والاحسان منه، والله هو المنعم المتفضل المنان ابتداءً من غير استحقاق وحتى للعاصين من عباده} وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا{[٤٨]}، وهكذا .وبهذا المعنى ورد في الحديث عن الصادق ((عليه السلام)) قال :

((القرآن عهد الله إلى خلقه فقد ينبغي للمرء المسلم ان ينظر في عهده وان يقرأ منه كل يوم خمسين آية))([٤٩]).

٥ ــ الثواب العظيم والأجر الجزيل الذي لاحدود له الذي يعطي لقاريء القرآن والمتدبر في آياته مما سنقرأه إن شاء الله تعالى في الاحاديث الشريفة.

٦ ــ ان القرآن لما كان كتاباً حياً خالداً لكل زمان ومكان فان المواقف التي عالجها والمشاكل التي واجهها لاتختص بزمان دون زمان، فيستفاد من القرآن اذن الحلول الدائمية المستمرة للمواقف المتجددة، وسنعرض الكثير منها في طي البحث كفكرة المقارنة بين الجاهليتين الأولى والحديثة، وفي هذا المعنى ماورد عن الحارث الأعور قال: دخلت المسجد فاذا الناس قد وقعوا في الاحاديث فأتيت علياً فأخبرته، فقال: أوَ قد فعلوها؟ سمعت رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) يقول إنها ستكون فتنة. قلت: فما المخرج منها يارسول الله. قال: كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل([٥٠]).

٧ ــ تعلّم المعارف والعلوم واسرارها المودَعة فيه، بحيث ان مثل أمير المؤمنين ((عليه السلام)) الذي يصف علمه عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن بانه: ما علمي وعلم جميع اصحاب رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) في علم علي ((عليه السلام)) الا كقطرة في بحر، أقول مثل علي ((عليه السلام)) في علمه، قيل له: هل عندكم شيء من الوحي؟ قال: لاوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة الا ان يعطي الله عبداً فهماً في كتابه([٥١]).

ففي هذا الكتاب من العقائد الحقة والاخلاق الفاضلة والتشريعات الحكيمة ونكات البلاغة وحسن البيان ما يلبي كل حاجة، وفيه اسرار الخلق وعجائب المخلوقات داخل جسم الانسان وفي الكون والطبيعة، وفيه ما لم تتوصل اليه عقول المكتشفين. ولا يعني هذا ان القرآن كتاب فيزياء أو كيمياء أو فلك أو طب حتى تنعكس عليه اخطاؤها ونقائصها، وانما هو كتاب هداية وإصلاح يوظف كل الادوات لتحقيق غرضه، وهذه العلوم كلها تصب في هذا الهدف ويأخذ منها مقدار ما يحقق غرضه.

٨ ــ براءة الذمة من شكوى القرآن اذا هجر، كما في الحديث الشريف المتقدم ((ثلاثة يشكون . .)) وشكوى القرآن لا ترد عند الله تبارك وتعالى، كما في الحديث الشريف في وصفه انه : ((ما حل مصدق)) أي انه خصم مصدَق ويعطى الحق له ويدعم هذه الدعوى شكوى رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) المذكورة في القرآن :} وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً{ ([٥٢]).

٩ ــ الفوز بشفاعة القرآن، فقد وصفه الحديث بانه : ((شافع مشفع)) وفي صفه شفاعته يقول الحديث : ((وكان القرآن حجيزاً عنه ــ أي حاجزاً وساتراً عن قاريء القرآن ــ يوم القيامة، يقول : يارب إن كل عامل اصاب أجر عمله غير عاملي فبلّغ به أكرم عطائك، قال : فيكسوه الله العزيز الجبار حلتين من حلل الجنة ويوضع على رأسه تاج الكرامة ثم يقال له : هل ارضيناك فيه؟ فيقول القرآن : يا رب قد كنت أرغب له فيما هو أفضل من هذين قال : فيُعطى الأمن بيمينه والخلد بيساره ثم يدخل الجنة فيقال له :اقرأ آية فاصعد درجة ثم يقال له هل بلغنا به وارضيناك ؟ فيقول : نعم))([٥٣]).

وغير هذه الفوائد كثير. وانت ترى ان بعضها لايختص بالمسلمين، لذا تجد اقبال المفكرين والعلماء والقادة على الأخذ من هذا القرآن وان لم يكونوا مسلمين.

والى هنا يكون ما ذكرت من المحفزات كافياً لأن يثير الإنسان ويحركه ويدفعه نحو احتضان هذا الكتاب الكريم المعطاء والاهتمام به حتى يخالط لحمه ودمه، وإني هنا ألزم كل من يرى لي حقاً عليه سواء كان اخلاقياً أوشرعياً ان يختم القرآن على الأقل في السنة مرتين. وهذا مقدار يسير جداً اذا اخذنا بنظر الاعتبار ان شهر رمضان وحده يمكن ان يقرا فيه نصف هذا المقدار أو اكثر.

وأهم مما ذكرت من المحفزات ما ورد في الاحاديث الشريفة التي اخترت لك منها مجموعة تتجاوز الأربعين حديثاً جرياً على سنة السلف الصالح الذين ألفوا الكثير من كتب (الأربعون

حديثاً) في شتى حقول المعرفة عسى ان يكونوا وأكون معهم من أهل هذا الحديث الشريف، قال رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) : ((من حفظ عني من أمتي أربعين حديثاً في أمر دينه يريد به وجه الله عز وجل والدار الاخرة بعثه الله يوم القيامة فقيها عالماً))([٥٤]).

القرآن يصف نفسه

ولكن الأهم من ذلك ان اتلو عليكم بعض الآيات التي وصف بها القرآن الكريم نفسه فانه أعرف بذلك وهو كلام خير القائلين. ومن هذه الآيات تعرف جلالة قدر هذا الكتاب وعظمة آثاره وبركاته :

١ ـ} هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ{ ([٥٥]).

٢ ـ} إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ{ ([٥٦]).

٣ ـ} يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِينًا، فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً{ ([٥٧]).

٤ ـ }قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ{ ([٥٨]).

٥ ـ} وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم{ ([٥٩]).

٦ ـ} قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ{ ([٦٠]).

٧ ـ} مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ{ ([٦١]).

٨ ــ} وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ{ ([٦٢]).

٩ ــ } وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ{ ([٦٣]).

١٠ ــ} يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ{ ([٦٤]).

١١ ــ }إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ { ([٦٥]).

١٢ ــ} اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاء وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ{ ([٦٦]).

١٣ ــ} وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ، لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ{ ([٦٧]).

١٤ ــ} اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ{ ([٦٨]).

١٥ ــ} وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ{ ([٦٩]).

١٦ ــ} وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ{ ([٧٠]).

١٧ ــ} فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ، وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ{ ([٧١]).

١٨ ــ} هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ{ ([٧٢]).

١٩ ــ} أفلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا{ ([٧٣]).

٢٠ ــ} ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ{ ([٧٤]).

٢١ ــ} وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ{ ([٧٥]).

٢٢ ــ} إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ، فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ، لا يَمَسُّهُ إلا الْمُطَهَّرُونَ{ ([٧٦]).

٢٣ ــ} أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ{ ([٧٧]).

٢٤ ــ} لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ{ ([٧٨]).

٢٥ ــ }وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً، إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلاً{ ([٧٩]).

٢٦ ــ} بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ، فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ{ ([٨٠]).

٢٧ ــ} إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ، وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ{ ([٨١]).

٢٨ ــ} الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا، قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ{ ([٨٢]).

٢٩ ــ} وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ{ ([٨٣]).

٣٠ ــ} وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى{ ([٨٤]).

هذا بعض ما يتصف به القرآن من صفات وآثار حسنة فهو كتاب مبارك عزيز كريم مجيد وهو بيان وهدى وموعظة ورحمة وشفاء وذكر ونور نزل بالحق ليحكم بين الناس ويدخل المؤمنين في رحمة الله وفضله ويهديهم صراطاً مستقيماً وهو عليّ حكيم ويصائر للناس وقول ثقيل وفصل وما هو بالهزل، لذا فهو ــ أي حقائقه التي جُعِلت هذه الالفاظ وعاءاً لها وهي كالأمثلة لتقريب تلك الحقائق والمعاني العميقة إلى الاذهان ــ في كتاب مكنون ولوح محفوظ لايمسه ولايصل إلى فهم حقائقه الواقعية بشكل كامل الا المطهرون من الذنوب والمعاصي والاثام وانجلت مرآة قلوبهم عن كل دنس فصارت تعكس بشكل كامل صفحة اللوح المحفوظ، اما غيرهم فليسوا جديرين بحمله الابمقدار ما أوتوا من الكمال}أنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا{ ([٨٥]).

أمِرَ الناس بتدبرّه وترتيله والتمسك به والانصات له ولو كان من غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً, فإن اقاموه وتمسكوا به أكلوا من فوق رؤوسهم ومن تحت ارجلهم وخشعت قلوبهم ولانت، وكانوا أهلاً للفيوضات الإلهية وان اعرضوا عنه اصبحوا في عيشة ضنكى واعتورتهم الشياطين حتى تصبح قرناء لهم وقست قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة فان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يهبط من خشية الله وهذه القلوب البعيدة عن القرآن وذكر الله سبحانه صمّ جامدة لاتجري فيها ولا قطرة من انهار المعرفة} وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ{ ([٨٦]).

شرح لبعض اوصاف القرآن

ولكن هذا الشرح الاجمالي لصفات القرآن غير كافية، لذا ارى من الضروري تقديم شرح اكثر تفصيلاً لبعض هذه الصفات مما لها آثار اجتماعية أو اخلاقية تاركاً البعض الآخر إلى التفاسير

المطولة في موارد الآيات التي ذكرتها، وانما اذكر هذه الاوصاف ليس فقط للتعرف على القرآن بل للتعرف على أهل البيت ((عليهم السلام)) لانهم عدل الكتاب وهما صنوان لايفترقان فاذا كان القرآن ينطق بالحق فانهم مع الحق والحق معهم وهو لايأتيه الباطل وهم معصومون وهو الكتاب قيمومة وسلطنة على الناس وهم ائمتهم وهكذا :

مبارك

أي كثير البركة وهو كذلك من عدة جهات فهو مبارك في محل صدوره لانه نازل من الله تبارك وتعالى المتفضل المنان مفيض النعم التي لاحصر لها ولا عد، ومبارك في محل نزوله وهو قلب رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) الرحيم الكريم الذي أرسل رحمة للعالمين ومبارك في اثاره ففيه الهداية والخير والسعادة في الدنيا والاخرة وفيه نظام حياة البشرية وقوامها وحفظ كيانها وفيه السلام والطمأنينة، ومبارك في حجمة فهو كتاب واحد الا ان جميع ارباب العلوم والمعرفة يغترفون منه وهو معين لاينضب فتجد الأصولي والفقيه والنحوي والاديب والمفكر والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والطبيب والمشرع والحاكم يأخذون منه ويستدلون بآياته ومع ذلك يبقى خالداً معطاءً وهذا دليل نزوله من الله فان هذا كله مما لايمكن لكتب عديدة ان تضمه وتحويه وهو مبارك بعدد الذين اهتدوا على يديه وتنورت قلوبهم وعقولهم ببركته.

عزيز

أي يصعب منالـه فانه في كتاب مكنون وحقائقه العليا محفوظة في اللوح المحفوظ وما هذه الكلمات الا امثال لتقريب تلك المعاني إلى اذهان البشر المستأنسة بالماديات والتي لاتسمو لتنال تلك الحقائق، نعم، يمسها ويصل اليها ويعيها المطهرون الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وهم آل محمد ((صلى الله عليه وآله)) وقد سمعت أمير المؤمنين ((عليه السلام)) يقول : اننا لانملك علماً أكثر من فهم لهذا الكتاب، وهو عزيز بمعنى يندر وجود مثله وهو كذلك لانه كلام من ليس كمثله شيء، وهو عزيز أي ممتنع عن ان ينال بسوء، فيكون بمعنى الآيه الشريفة :} إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ{([٨٧])، وهو عزيز بمعنى انه قاهر وغالب ومتسلط لانه كلمة الله وكلمة الله هي العليا فهو يعلو ولا يعلى عليه وموقعه دائماً التسلط

والحاكمية على العباد والتصرف في شؤونهم، وهو عزيز بمعنى مطلوب كما قيل كل موجود مملول وكل مفقود مطلوب، وهذا الكتاب مطلوب كل من اراد الوصول إلى الله تبارك وتعالى.

مجيد

قال الراغب في المفردات : المجد: السعة في الكرم والجلال وأصله في قولهم (مجدت الأبل) اذا حصلت في مرعى كثير واسع فوصف القرآن بالمجيد لكثرة ما يتضمن من المكارم الدنيوية والآخروية وعلى هذا وصفه بالكريم بقوله تعالى :} إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ{([٨٨]).

لسعة فيضه وكثرة جوده،وقد اشرنا في شرح صفة (مبارك)إلى هذه الآثار الواسعة.

قيّماً

من القيمومة، فهذا الكتاب قيّم على العباد ليسوقهم ويقودهم ويدلّهم على ما يصلحهم ويهيىء لهم كل اسباب السعادة في الدنيا والآخرة كما يفعل القيّم على الأسرة أو على المجتمع، ومنهج القرآن قيّم على جميع المناهج الأخرى سواء على مستوى العقائد او التشريعات وهو مقدم عليها وقائد لها وهي تابعة وخاضعة ومحكومة له، فالقيمومة العليا في هذه الحياة للقرآن إن ارادت البشرية خيرها وسعادتها لاما فعلته بالابتعاد عن منهج القرآن وتحكيم عقول البشر القاصرة الخاضعة غالبا لمنطق الاهواء والمصالح وقد مهدت الآية لهذه القيمومة بأن وصفته انه لاعوج فيه ولا نقص ولاخلل ولا قصور، فقال تعالى :} وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا{ ([٨٩]). فمن شروط القيمومة على البشر من يريد تكميل غيره ان يكون كاملاً في نفسه فان فاقد الشيء لايعطيه كما قالوا، ومن ضرورة القيمومة على البشر ان يتصدى لها من لانقص فيه ولاخلل ولاقصور ولم يتحقق ذلك الا في هذا الكتاب الكريم وعدله الثقل الأصغر أهل بيت النبوة وكل ما سواهم لاحقّ له في إمامة المجتمع والقيمومة عليه، وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة أوجبت تقديم الكتاب والعترة.

} وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً{ ([٩٠]). أي ضيّقة وهذه صفة كل من يعرض عن ذكر الله تبارك وتعالى ويكون مقطوع الصلة به سبحانه ويعيش بعيداً عن القرآن الكريم

فانه يكون في ضيق وتعاسة وألم لانه انسلخ من رحمة الله الواسعة ووقع فريسة الاهواء والمطامع والشهوات التي لاتقف عند حد فهو في رعب خشية الموت فيخسر الدنيا التي هي همه وما له في الآخرة من نصيب، ويعيش الحرص على ما في يده خشية الفوت، ويعيش التعب لانه يلهث وراء سراب، فما يحقق شيئا يظن ان فيه سعادته حتى يكتشف انه متوهم فيسعى إلى غيره،فمثلاً يظن ان سعادته في المال حتى جمع المليارات فما تحققت سعادته، فيظن انها في الدور الفارهة فيبني منها ما لاعين رأت فلا تحقق سعادته، فيظن انها في النساء فيستمتع بما شاء منهن ثم يجد نفسه قد وصل إلى طريق مسدود فينطبق عليه قوله تعالى : } فَلَمَّآ رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي{، والقمر كناية عن المال فظن انه ربه وكافل سعادته }فَلَمَّا أَفَلَ{ وفشل في تحقيقها له }قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ{، }فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً{، وهي كناية عن أمور دنيوية أخرى }قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَآ أَكْبَرُ{ وهذا الذي يحقق لي السعادة وطمأنينة القلب لانه }هَذَآ أَكْبَرُ{.

واهم وأعظم تأثيراً }فَلَمَّا أَفَلَ{ وفشل هذا الرب الجديد في تحقيق السعادة } قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ{ وهؤلاء الارباب الناقصين الذين لايملكون لانفسهم فضلاً عن غيرهم ضراً ولا نفعاً, وعندئذ إن كان مخلصاً في البحث عن الحقيقة كتبت له الهداية وقال مقالة المؤمنين : }قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ، إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ{ ([٩١])، وان لم يكن كذلك كتبت عليه الشقاوة وكان جوابه :} وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ{ ([٩٢]).

وهكذا يبقى في شقاء ونكد وضيق بين مطرقة الموت الذي يمكن ان يختطفه في اية لحظة، وسندان الحرص والطمع} وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ{ ([٩٣])، وانت ترى ان اكثر حالات الانتحار هي في الدول المرفهة اقتصادياً والتي تعيش التخمة ومنشأه هذا النكد والفتك الذي يعيشه بسبب الخواء الروحي.

} قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ{ ([٩٤])، فهو نور لانه يشرق أولاً في

قلب المؤمن فيطهّره من ادران المعاصي وكدورات الذنوب ويجلي صفحته ليكون مستعداً لتجليات الحق فيه وهو نور للأمة وللمجتمع يرشدها إلى النظام الذي يكفل سعادتها.

ومن لطيف التعبير القرآني انه جعل لفظ النور مفرداً والظلمات جمعاً لان طريق الحق واحد لايتعدد وان تعددت سبله ومصاديقه . قال تعالى :} اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ{[٩٥]، بينما الظلمات عديدة والآلهة التي تصد عن الله تبارك وتعالى كثيرة.

ومن آثار القرآن وبركاته انه يهدي من اتبع رضوان الله تعالى سبل السلام واول سلام ينعم به هو سلام النفس وطمأنينة القلب وصفاء الذهن} ألاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ{[٩٦]، ثم السلام داخل العائلة والأسرة التي تقوم على اساس الاسلام وتعاليم القرآن} وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ{[٩٧]، ثم السلام بين افراد المجتمع عندما تسودهم آداب الاسلام }فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً{[٩٨]،} مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ {[٩٩]،} وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ{[١٠٠]).

قول ثقيل

والثقل للمعنى الذي يحمله القول أو اللفظ هو ثقيل على النفس لانه يمسك بزمام شهواتها فلا يطلق لها العنان وانما يهذبها ويقومها ويقودها، وهو ثقيل على العقل لما يتضمنه من اسرار ودقائق يصعب تحملها على العقول الجبارة وثقيل على الروح لما فيه من تكاليف شاقة وتربية مكثفة وإليه اشار ((صلى الله عليه وآله)) شيبتني هود والواقعة لان فيها فاستقم كما أمرت وهو ((صلى الله عليه وآله)) يعرف ثقل هذا الأمر.

ومنشأ ثقله صدوره من الله العظيم، لذا تنقل كتب السير حالته ((صلى الله عليه وآله)) عند نزول الوحي عليه وقد وصف القرآن ثقله بقوله :} لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَتِلْكَ الأمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ{[١٠١]).

وهو ثقيل لما يصيب حامله والساعي إلى إقامته في المجتمع من محن وبلايا وصعوبات. قال تعالى: } المص، كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ{([١٠٢]) لذلك أمر ((صلى الله عليه وآله)) بقيام الليل والتعلق بالله تبارك وتعالى وتعميق الصلة به استعداداً لتلقي هذا القول الثقيل والمسؤولية العظيمة وقد وعده تعالى بتحصيل هذه النتائج، قال تعالى :} وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُوداً{([١٠٣]).

موعظة وشفاء وهدى ورحمة

وأختصر هنا ما ذكره السيد الطباطبائي ((قدس سره)) في تفسير الآية([١٠٤]) :

قال الراغب في المفردات : الوعظ : زجر مقترن بتخويف. وقال الخليل. هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب وشفاء الصدور كناية عن ذهاب ما فيها من الصفات الروحية الخبيثة التي تجلب إلى الانسان الشقاء وتنغص عيشته السعيدة وتحرمه خير الدنيا والآخرة، وإنما عبر بالصدور لان الناس لما وجدوا القلب في الصدر وهم يرون الانسان انما يدرك ما يدرك بقلبه وبه يعقل الأمور ويحب ويبغض ويريد ويكره ويشتاق ويرجو ويتمنى عدّوا الصدر خزانة لما في القلب من اسراره والصفات الروحية التي في باطن الإنسان من فضائل ورذائل.

أقول : وتدل الأحاديث على ان القرآن شفاء حتى من الامراض البدنية بل في بعضها ان سورة الفاتحة لو قرأت سبعين مرة على ميت فقام حيا لم يكن ذلك عجبا.

والرحمة تأثر خاص في القلب على مشاهدة ضر أو نقص في الغير يبعث الراحم إلى جبر كسره وإتمام نقصه، واذا نسبت إلى الله سبحانه كان بمعنى النتيجة دون أصل التأثر لتنزهه تعالى عن ذلك فينطبق على مطلق عطيته تعالى وإفاضته الوجود على خلقه.

أقول : هذا أحد الوجوه في شرح هذه الاسماء المباركة التي لا يمكن فهم نسبتها إلى الله تبارك وتعالى كما تنسب إلى المخلوقين.

واذا أخذت هذه النعوت الأربعة التي عدّها الله سبحانه للقرآن في هذه الآية ــ اعني انه موعظة وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة ــ ، وقيس بعضها إلى بعض ثم اعتبرت مع القرآن كانت الآية بيانا جامعا لعامة اثره الطيب الجميل وعمله الزاكي الطاهر الذي يرسمه في نفوس المؤمنين منذ أول ما يقرع اسماعهم إلى آخر ما يتمكن من نفوسهم ويستقر في قلوبهم.

فانه يدركهم اول ما يدركهم وقد غشيتهم الغفلة واحاطت بهم لجة الحيرة فأظلمت باطنهم بظلمات الشك والريب وامرضت قلوبهم بأدواء الرذائل وكل صفة أو حالة رديئة خبيثة فيعظهم([١٠٥]) موعظة حسنة ينبههم بها من رقدة الغفلة، ويزجرهم عما بهم من سوء السريرة والأعمال السيئة ويبعثهم نحو الخير والسعادة.

ثم ياخذ في تطهير سرهم عن خبائث الصفات ولا يزال يزيل آفات العقول وأمراض القلوب واحدا بعد آخر حتى يأتي على آخرها.

ثم يدلهم على المعارف الحقة والأخلاق الكريمة والأعمال الصالحة دلالة بلطف يرفعهم درجة بعد درجة وتقريبهم منزلة فمنزلة حتى يستقروا في مستقر المقربين، ويفوزوا فوز المخلصين.

ثم يلبسهم لباس الرحمة وينزلهم دار الكرامة ويقعدهم على أريكة السعادة حتى يلحقهم بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ويدخلهم في زمرة عباده المقربين في أعلى عليين.

فالقرآن واعظ شاف لما في الصدور هاد إلى مستقيم الصراط مفيض للرحمة باذن الله سبحانه، وانما يعظ بما فيه ويشفي الصدور ويهدي ويبسط الرحمة بنفسه لا بأمر آخر فانه السبب الموصل بين الله وبين خلقه فهو موعظة وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين([١٠٦]).

الحياة في كنف القرآن

وقد جربت الحياة في كنف القرآن وعشت في رعايته سنين في ريعان الشباب كنت أختمه في السنة عشرين إلى خمس وعشرين مرة حتى خالط لحمي ودمي وفكري ولساني وقلبي وكنت مع تلاوتي له اقرأ بامعان في تفسيرين مهمين أجلّهما وأعترف لهما بالفضل في تكوين شخصيتي العلمية والفكرية هما (الميزان) و (في ظلال القرآن) حتى اكملتهما ولخصت رؤوس افكارهما حتى أرجع اليهما باستمرار فتنقدح في ذهني تلك الأفكار وفي روحي وقلبي تلك اللحظات السعيدة.

فماذا وجدت في رحاب القرآن،؟ وماذا سيجد من يعيش في رعاية القرآن؟ سيرى عظمة الله سبحانه تتجلى في آياته وقوانينه وسننه وقدرته على كل شيء، فالأرض جميعاً قبضته والسموات مطويات بيمينه والعزة لله جميعاً والقوة والملك له وحده فهو الذي يرث الارض ومن عليها وإليه مرجع العباد وهو اقرب اليهم من حبل الوريد ويحول بين المرء وقلبه ولا يملك شيء لشيء نفعا ولا ضرا الا بإذنه، فعندئذ يتصاغر امام حامل القرآن كل ما سوى الله تبارك وتعالى مهما عظم ظاهرا أو حاول اولياؤه وأتباعه تعظيمه والنفخ في صورته فاذا قدرة الله تلقف ما يأفكون فلا إرم ذات العماد ولا فرعون ذو الاوتاد ولا صاحب الكنوز التي تنوء مفاتيحه بالعصبة اولي القوة، اما حامل القرآن فقوته متصلة بالله فلا يخشى ما سواه} مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّـهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ{[١٠٧]}، و((من خاف الله اخاف الله منه كل شيء))[١٠٨]).

وعندئذ سترى ان هذه القوى الكبرى التي }يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى{[١٠٩]}، وقادرة على تحقيق كل ما تريد، واذا بها تنهار وتذوب كما يذوب الملح في الماء بلا حرب ولا أي عدو ظاهر لكن الله ينبئك عن الذي يقف وراء فنائهم} فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ، ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآئِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ{[١١٠]}.

وسيرى وعد الله وطمأنينته للمؤمنين بان العاقبة لهم ولكن بعد ان :} مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ ألا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قريبٌ{([١١١])، وأن لابد من الفتنة والابتلاء ليمحص الله الذين آمنوا} الم، أَحَسِبَ النَّاسُ أن يُتْرَكُوا أن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ{ ([١١٢]). وعندئذ يقر بال المؤمن مهما واجهته من صعوبة ومحنة لانه من سنة الله في عباده فعليه ان يصدق في المواقف وسيجزي الله الصادقين ويهون الخطب عليه انه كله بعين الله سبحانك قال تعالى : } فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا{([١١٣])،} ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ{ ([١١٤]).

وسيرى من علو الايمان الذي يعمر قلبه والمعارف العليا التي يحملها إلى هذه البشرية التائهة التي تلهث وراء السراب تعيش لاغراض زائفة وتمني نفسها بأمانٍ باطلة يزينها لهم اولياء الشيطان من مال وجاه وشهوات يتنافسون عليها ويتقاتلون على شيء لا يبقى لهم بل يكون وبالا عليهم. يصنعون لانفسهم آلهة يصطلحون على عبادتها وطاعتها وتقديم الولاء لها فيقيمون لها الطقوس والاحتفالات والمهرجانات ويذبحون من اجلها القرابين ليس من الحيوانية فقط بل البشرية ويهدرون على اقدامها المليارات.

وسيرى انه ليس وحده حتى يشعر بالضعف أو الذلة أو الخضوع والاستسلام ولا ان ما يعانيه ويشاهده ويعيشه بدعا من الحوادث ولا ان تجربته فريدة} قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلا نَذِيرٌ مُّبِينٌ{([١١٥])، فاذن قد سبقه على هذا الخط انبياء عظام واولياء كرام وحملة رسالات ومصلحون وعباد صالحون عانوا أكثر مما عانى وصبروا على اشد ما صبر عليه وواجهوا من مجتمعاتهم أعظم مما يواجه والصورة نفس الصورة قال تعالى :} فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ{([١١٦])،} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ{([١١٧]).

وسيرى تكريم الله لخلقه حين خاطبهم بنفسه ووجه اليهم كلامه مباشرة، الله العظيم خالق السموات والارض ذو الاسماء الحسنى يرسل اليهم بنفسه رسالة ويعهد اليهم بعهده، أي تكريم اعظم من هذا واي تفضيل فوق هذا} وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً{[١١٨]} فكيف ياترى مشاعر الانسان وهو يقرأ رسالة حبيبه بل الحبيب المطلق (إن القرأن عهد الله إلى خلقه فينبغي لكل مؤمن ان ينظر فيه).

وسيرى ان كل شيء في هذا الكون بقدر وحساب دقيق، قال تعالى :} إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ{[١١٩]}، }وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ{[١٢٠]}،} وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ{[١٢١]}، وكل المخلوقات افراد ومجتمعات تجري وفق سنن ثابتة} سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ{[١٢٢]}،} وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ{[١٢٣]} لايستطيع أحد ان يخرج من هذا القانون الالهي العظيم }فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً{[١٢٤]}، فكيف يعبد الانسان غيره تبارك وتعالى وهو لايستطيع ان يخرج من قبضة سننه وقوانينه، فلا مجال للعب ولا العبث واللهو} رَبَّنَآ مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ{[١٢٥]} ، } وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ{[١٢٦]} ،} لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً لاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ{[١٢٧]} ولا مجال للصدفة العمياء التي طالما تشدق بها الملحدون وضحكوا بها على عقول الناس ردحا من السنين واضلوهم بها فتعساً التابع والمتبوع فمن وراء خلق الانسان هدف فلا بد ان يحيا من اجله ويكرس كل طاقاته لتحقيقه وهو رضا الله تبارك وتعالى.

وسيجد في القرآن الوعد الالهي بالامداد والقوة الغيبية في كل موقف وشدة ومأزق ومعركة مع النفس الأمارة بالسوء أو الشيطان، وأن الله معه وكفى به ناصرا ما دام هو مع الله قال تعالى :} إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ، نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ، نُزُلا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ، وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ

صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ{[١٢٨]} وآيات كثيرة تخبر عن انزال السكينة في قلوب المؤمنين والامداد بالملائكة المسومين وغيرها.

وسيجد في كنف القرآن الطمآنينة قال تعالى : }أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ{[١٢٩]، وهدوء البال وشفاء الصدور والهدى والبركة وكل خير مما وصف القرآن به نفسه.

فاذا وجد حامل القرآن كل ذلك اشتدت عزيمته وقوي قلبه وصلحت نفسه وازدادت همته وظهرت حكمته وسيكون عندئذ مصدرا للعطاء ومنبعا للخير لنفسه وللمجتمع كما هو شان المصلحين العظام وعلى رأسهم رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) وأمير المؤمنين ((عليه السلام)) .

ضرورة العودة إلى القرآن

أفبعد كل هذا نحتاج إلى ذكر المزيد من المحفزات للعودة إلى القرآن والحياة في كنفه وهل بقى من لايعي فداحة الخسارة التي حلت بنا بسبب ابتعادنا عن القرآن. اذن فلنرجع جميعا إلى القرآن تائبين نادمين ملتمسين اياه ان يعود إلى امامتنا وهدايتنا إلى الله تبارك وتعالى وعلينا ان نفكر في سبيل إلى اخراج هذا الكتاب الكريم من عزلته التي فرضناها نحن عليه وتفعيل دوره في الحياة المجتمع.

وقد تقول : ان مثل هذا حاصل من خلال ما نشاهده من كثرة حلقات تعليم القرآن وحفظه وتجويده وبيان قواعده ورسمه .

وأقول : مع احترامي لهذا كله الا ان هذا اهتمام بالقشور والمهم هو اللب فان اللفظ وعاء لايصال المعنى وقشر لحفظ المعنى الذي هو اللب وآلة لنقل المعنى إلى الذهن فهل يكفي الاهتمام بالقشر وترك اللب؟ فالمطلوب هو اعادة القرآن بروحه ومضامينه ومعانيه وافكاره ومفاهيمه، ولا شك ان الخطوة الأولى منه هي الاهتمام بتلاوته ومعرفة معاني ألفاضه وتطبيق القواعد العربية على مخارج حروفه.

مسؤولية الحوزة في اعادة القرآن

وأعتقد ان اول شريحة في المجتمع تقع عليها المسؤولية هي الحوزة الشريفة بطلبتها وفضلائها وخطبائها وعلمائها لان صلاح المجتمع من صلاح الحوزة وفساده بفسادها والعياذ بالله، فقد جاء في الحديث الشريف عن رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) : ((صنفان من أمتي اذا صلحا صلحت أمتي واذا فسدا فسدت أمتي .قيل يارسول الله ((صلى الله عليه وآله)) ومن هم؟ قال ((صلى الله عليه وآله)) : الفقهاء والأمراء))([١٣٠]).

وقد قلت في بعض كتبي([١٣١]) انه من المؤسف حقا غياب القرآن عن مناهج الدراسة الحوزوية فقد نظمت بشكل لايحتاج فيه الطالب إلى التعمق في القرآن الكريم من أول تحصيله إلى نهايته ولا يمر به الا لماما عند الاستدلال على قاعدة نحوية أومبحث أصولي أو مسألة فقهية فاصبح مسرحا للتدقيقات العقلية ولم يتخذ غذاءً للقلب والروح ودواء للنفس وربما يبلغ الحوزوي مرتبة عالية في الفقه والأصول وهو لم يحيَ حياة القرآن ولم يخض تجربة التفاعل مع القرآن واستيعابه كرسالة إصلاح وقد تمر الأيام والأسابيع ولا تجد طالب العلم يمسك المصحف الشريف ليتلو آياته ويتدبر فيها لعدم وجود صلة روحية عميقة بينه وبين القرآن ولو وجد فيه زاده وغذاءه الذي يغنيه عن غيره لما استطاع تركه، وهذه مصيبة عظيمة للحوزة والمجتمع وربما لايحسن بعضهم قراءته مضبوطة بالشكل، ولما كانت رسالة الحوزة الشريفة التي تصدت لحملها هي اصلاح المجتمع وتقريبه إلى الله تبارك وتعالى فان أول مهمة لهم هي فهم القرآن والسعي إلى تطبيقه فان الأمة لاتكون بخير الا اذا تمسكت بقرآنها واهتدت بهديه واستضاءت بنوره كما هو نص حديث الثقلين المشهور : ((اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابدا))([١٣٢]).

جاهلية اليوم

إن البشرية تعيش اليوم جاهلية جديدة ـــ وان تسمى بعضهم بالاسلام ـــ بحسب المفهوم الذي يعطيه القرآن للجاهلية إذ انه لا يعتبرها فترة زمنية انتهت بطلوع شمس الاسلام بل هي حالة اجتماعية تتردى اليها الأمة وينتكس اليها المجتمع كلما اعرض عن شريعة الله سبحانه} أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ{ ([١٣٣])، وقد نبه القرآن الكريم إلى حصولها حينما قال :} وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى[([١٣٤]) وكأنه إشعار بوجود جاهلية ثانية وهي هذه التي تعيش البشرية اليوم شؤمها وتعاستها وشقاءها بل جمعت جاهلية اليوم مساوىء الجاهليات القديمة كلها فالقوي يأكل الضعيف، واللواط يسن بقانون رسمي يجيزه ويرتضي الزواج بين الذكرين، والزنا يفوح برائحته الكريهة وهمجيته الحيوانية وامراضه الفتاكة كالايدز ونحوه في كل ارجاء العالم، والبخس في الميزان منتشر بجميع اشكاله ليس على مستوى الأفراد فقط بل على مستوى الدول فلا يوجد انصاف في العلاقات بين المجتمعات البشرية وهو ما يسمى بالمصطلح (الكيل بمكيالين) واتخاذ الاحبار والرهبان وسائر رؤوس الضلال من شياطين الانس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا، اربابا من دون الله يحرّمون ما أحل ويحلون ما حرم، والآلهة التي تعبد من دون الله سبحانه قد تعددت ولم تعد مقتصرة على الحجرية منها فقط بل ما زالت الذهنيات الشيطانية تتفتق عن المزيد وشياطين الأنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ويصدون عن صراط الله المستقيم} لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ{([١٣٥])،} وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً{([١٣٦])، وما أكثر هؤلاء الذين يصدون عن سبيل الله من آمن ويبغونها عوجا عن الفطرة السليمة من فاسقات نصبن فخوخ الفتنة والاغراء، إلى بورصات اقتصادية يسيل لها اللعاب، إلى فنانين لاعمل لهم الا تدمير الاخلاق والقيم الاجتماعية وغيرها.

كل هذه من صفات وعلامات جاهلية اليوم وفي كل زمان ومكان، وهذا المفهوم من المفاهيم القرآنية التي يجب استيعابها وفهمها.

ولمزيد من البيان نعقد مقارنة بين عقائد وممارسات الجاهلية الأولى والجاهلية التي نعيشها اليوم، وأريد بهذا البيان عدة أهداف :

١ ــ تنقيح المفاهيم والمصطلحات القرآنية واستنباط معانيها التي يريدها القرآن وازالة الغبار المتراكم عليها نتيجة الغفلة عن القرآن، وإعمال العقول فيه من دون الرجوع اليه.

٢ ــ استيعاب الحاجة إلى القرآن اذا فهمنا ان البشرية عادت إلى جاهليتها الأولى فهي بحاجة إلى ان يعود القرآن ليمارس دوره من جديد في الأخذ بيدها نحو الاسلام الحقيقي.

٣ ــ تعزيز فكرة الإمام المهدي (ارواحنا له الفداء) وإقامة الدليل العلمي عليها إذ ان البشرية لما عادت إلى جاهليتها الأولى فان القرآن وحده لا يكفي لممارسة دوره في انقاذها بل لابد له من حامل يجسده على أرض الواقع كما رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) وان لم يكن نبيا لانقطاع النبوة به ((صلى الله عليه وآله)) ولا تجتمع هذه الاوصاف إلاّ في الحجة بن الحسن (ارواحنا له الفداء)، وهاهي ارهاصات ظهوره تتحقق ويقترب يومه الموعود([١٣٧]). وتفصيل الكلام في بحث خاص به ((عليه السلام)) .

صفات ومميزات المجتمع الجاهلي بحسب المفهوم القرآني

واول صفة من صفات الجاهلية هي عبادة الناس لغير الله تبارك وتعالى والعبادة بمعنى الطاعة والولاء كما ورد عنهم ((عليهم السلام)) في تفسير قوله تعالى :} اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ{([١٣٨]) قال ((عليه السلام)) : ((اما والله ما دعوهم إلى عبادة انفسهم ولو دعوهم إلى عبادة انفسهم ما اجابوهم ولكن احلوا لهم حراما وحرموا عليهم حلالا فعبدوهم من حيث لايشعرون))([١٣٩]) هذه العبادة كانت في ذلك المجتمع الجاهلي لغير الله تبارك وتعالى لذا جاء في أول سورة من سور القرآن المطالبة بعدم طاعة ما سوى الله} كَلا لا تُطِعْهُ{([١٤٠])، فكانت الطاعة لآلهة متعددة يومئذ:} مَا نَعْبُدُهُمْ ــ أي الاصنام ــ إلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى{([١٤١])، } وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ{([١٤٢])، }إِنَّا أَطَعْنَا

سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا{[١٤٣]}، } فَاتَّبَعُواْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ{[١٤٤]}،} فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً{[١٤٥]}، } وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ{[١٤٦]}،} وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ، كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ{[١٤٧]}،} إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ{[١٤٨]} هذه بعض آلهة الجاهلية الأولى التي كانت تعبد من دون الله تبارك وتعالى وهي (الاصنام، العلماء غير المخلصين، الفراعنة، هوى النفس الامارة بالسوء وشهواتها، ابليس، العصبية، العادات والتقاليد الموروثة عن السلف) وأصلها اتباع الهوى } فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ{[١٤٩]}، فهل اختلف حال الناس اليوم؟ ولا أريد بالناس هذه الأمم التي تسمي انفسها متحضرة فانها غارقة في مستنقع الجاهلية من قرنها إلى أخمص قدميها، ولكن هلم بنا إلى الخطب الأفضع إلى الذين يسمون انفسهم مسلمين وهم يسيرون في ركاب اولئك الكفار وينغمسون في طاعة الشهوات والهوى وما يصدرون اليه من الهة جديدة كالرياضة والفن وبعض النظريات والقوانين المنحرفة وما زالت طاعة السادة والكبراء كرئيس العشيرة والوجهاء تمتثل من دون رعاية للشرع المقدس فيحلون ما حرم الله ويحرمون ما احل الله تبارك وتعالى، وما زالت الاعراف والتقاليد وسنن الاباء والاجداد تطاع اكثر من شريعة الله سبحانه بحيث يرضى المجتمع بمعصية الله ولا يرضى بالخروج عن هذه الاعراف والتقاليد، ولسان حالهم يقول(النار ولا العار) خلافا للإسلام الذي مثله الإمام الحسين (ع) في كربلاء بقوله :

الموت اولى من ركوب العار
والعار أولى من دخول النار

وهذا واضح في السنينة العشائرية وغيرها، وهذه المرأة المسكينة تطيع المودة ودور الازياء وما يقتضيه الاتيكت وما يصدره الغرب من ملابس وادوات زينة وكماليات حتى لو كانت مخالفة للشريعة فهل بقى من العبادة والطاعة والولاء شيء؟ هذا على مستوى الشرك الجلى، والقرآن

يخبرنا ان هذه الالهة كلها ستتبرأ من عبادها يوم القيامة ولا ينفع الندم حينئذ :} وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ، إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ، وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ{([١٥٠]).

ويصف هذه الالهة التي يعبدها البشر بتقديم الولاء والطاعة لهم من دون الله تبارك وتعالى قال تعالى :} مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ{([١٥١])، وقال تعالى :} وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ{([١٥٢]).

وهذا بحث جدير بالاهتمام لانه يلفت نظر الناس إلى انحراف عقائدهم وانهم بعيدون عن التوحيد الخالص وان طاعتهم لله تبارك وتعالى اقل بكثير من طاعتهم لهذه الاصنام المتعددة. وليكن البحث بعنوان (اصنام الجاهلية الحديثة) التي يزيدها خطورة خفاؤها وعدم الالتفات اليها حتى للمؤمنين فضلا عن غيرهم.

اما على مستوى الشرك الخفي فالمصيبة اعظم، وقلما تجد عملا مخلصا وان ظن صاحبه ذلك، فلماذا يكتب اسمه على لوحة كبيرة عندما يشيد مسجدا لو كان عمله لله ولماذا يمن بعطائه ويتحدث به لو كان مخلصا؟

٢ ــ والصفة الثانية من صفات الجاهلية هي ان الشريعة التي تنظم امورهم وتنظر في خصوماتهم بعيدة عن شريعة الله سبحانه} أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ{([١٥٣])، فكل حكم بغير ما انزل الله هو حكم جاهلية على تعبير القرآن، ونحن نرى ان اكثر افراد مجتمعنا منضوون تحت عشائر تحكمها سُنن عشائرية ما أنزل الله بها من سلطان وضعها ناس جهلة بعيدون عن الله تبارك وتعالى، وهذا كمثال ويمكن ان تضرب بطرفك في شرائح اجتماعية اخرى لترى مصداق

ذلك، وها انت ترى ان دول العالم المختلفة تتحكم فيها قوانين وتشريعات و(ايديولوجيات) من صنع البشر الناقص الذي لايملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا يرى ابعد من ارنبة انفه، فتراه كل يوم يغير مادة ويضيف فقرة ويلغي اخرى ويكتشف خطأ غيرها فيرتق مافتق، وهكذا وقد وصف الحديث الشريف كل مخالفة للشريعة وتقصير في تطبيقها جاهلية نحو قوله ((عليه السلام)) : ((من مات ولم يوص مات ميتة جاهلية))([١٥٤]).

ففرعون الذي يقول :} مَا أُرِيكُمْ إِلا مَا أَرَى{([١٥٥])، ليس حالة خاصة فردية بل هي متكررة دائما عند الكثيرين ممن ينصبون انفسهم مشرعين من دون الله تبارك وتعالى.

٣ ــ ومن سمات الجاهلية انحراف عقائدها واليها اشير بقوله تعالى :} يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ{([١٥٦])، فقد كانوا يعتقدون مثلا انه مهما ارتكب الإنسان من موبقات فانه ينجو من العقاب اذا قرب إلى الآلهة قربانا، ومجتمعنا بفعل ما رسخه خطباء المنبر الحسيني في اذهانهم يعتقدون انه مهما فعل من منكرات وكبائر فان دمعة واحدة على الحسين ((عليه السلام)) تكفيه لدخول الجنة، انطلاقا من الحديث الشريف : ((من بكى على الحسين ولو مقدار جناح بعوضة وجبت له الجنة))([١٥٧])، واستدلوا بقول الشاعر : فان النار ليس تمس جسما عليه غبار زوار الحسين

ونحن لاننكر كرامة الحسين ((عليه السلام)) على الله تبارك وتعالى فهو يستحق هذا التكريم وازيد : لكن هذا على نحو المقتضي وجزء العلة لدخول الجنة ولا بد من تمامه من جزء العلة الأخرى من الشروط وعدم الموانع وأول الشروط طاعة الله تعالى في اوامره ونواهيه وهذا القرآن صريح:} وَلَا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى{([١٥٨])، وفي حديث الإمام الصادق ((عليه السلام)) : ((لن تنال شفاعتنا مستخفا بالصلاة))([١٥٩])، ومنافٍ للآية الشريفة :} فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ{([١٦٠])، الا ان يتدارك عمله بالتوبة الصادقة.

وهذا الانحراف في الاعتقاد له اثره الخطير في ابتعاد الناس عن الدين وقلة وعيهم بعد ان خدروا بهذه العقيدة البعيدة عن القرآن وركونهم اليها فتركوا العمل بالقرآن.

٤ ــ ومن معالم الجاهلية السفور والتبرج وإظهار المفاتن والتهتك وشيوع الفاحشة، قال تعالى :} وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى{([١٦١])، والمجتمع اليوم قد فاق تلك الامم بفسقه وفجوره وتفننه في الغواية والإضلال وإيقاع البشر في الفاحشة وتسخر كل امكانياتها المتطورة لترويجها، وكما كانت الجاهلية تبتكر الاساليب وتضع قوانين لاشباع غريزتها الجنسية بطرق شيطانية، فمثلا سنّت قريش قرارا يقتضي حرمة طواف الطائف بالبيت بثيابه لانه قد عصى الله بها وارتكب المآثم فيها فلا بد ان يطوف بملابس من اهل مكة أو جديدة أو يطوف عاريا فكان من لايجد ذلك يطوف بالبيت ــ رجلا كان أو امرأة ــ عاريا، ومنهم امرأة قد وضعت يدها على قبلها لتستره وهي تنشد :

اليوم يبدو بعضه أو كله

وما بدا منه فلا أحله

واولياء الشيطان اليوم سنّوا اساليب لاشاعة الفاحشة غير ملاهي الفسق والفجور باسم الرياضة مثلا التي لا تقل تهتكاً عما يجري في تلك الملاهي بل الملاهي ارحم لانها في الخفاء ويستهجنها الجميع ويستحيي صاحبها ان يلصق به عارها، اما هذه فتمارس علنا ويفتخر بها صاحبها ويبارك عمله الجميع. أترى أي العوبة أصبح هؤلاء بيد الشيطان يتصرف بهم كيف يشاء. وهكذا العناوين والاسماء الأخرى كملكة الجمال أو باسم عرض الازياء أو باسم الفن وكلها استهتار ومجون وفسق وفجور ولكن بغطاء مقبول لدى المجتمع لاينجو منه الا من عصم الله، والهدف واحد هو ان تعيش البشرية همجية الحيوان وفوضى الجنس ونار الشهوة المستعرة التي لا تبقي ولا تذر.

٥ ــ ومن سمات الجاهلية فساد التصورات وانحراف الرؤية للحياة فمثلا كان بعض الجاهلين يرفضون تزويج بناتهم من غيرهم لانهم يرون أنفسهم فوق الآخرين وهم ما يسمون بـــ(الحُمُس) وفي جاهلية اليوم توجد شرائح كثيرة ولعل اوضح مصاديقها بعض السادة المنتسبين لرسول الله ((صلى الله عليه وآله)) فانهم لا يزوجون نساءَهم الا لسيد مثلهم وقد تعنس بناتهم ويفوتهنّ الزواج ويحرمنَ من ممارسة حق مشروع لهنّ في التنعم بتكوين اسرة وليعشنَ سعادة الامومة. كل ذلك بسبب هذا التصور الخاطىء الجاهلي فاين هذه التصورات من مبادىء القرآن : }خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء{[١٦٢]}، ومن تعاليم رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) : ((اذا رضيتم من الرجل عقله ودينه فزوجوه))[١٦٣]، واذا كان لهم شرف بانتسابهم لرسول الله ((صلى الله عليه وآله)) فان شرف رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) بانتسابه للاسلام ولطاعة الله تعالى، وليس لانه محمد بن عبد الله قال تعالى :} لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ{[١٦٤]،} وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأقاويلِ، لأَخَذْنَا مِنْهُ بِاليَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ، فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ{[١٦٥]، ويقول هو ((صلى الله عليه وآله)) : ((ولو عصيت لهويتُ))[١٦٦] فما قيمة هؤلاء الذين يتاجرون باسمه ((صلى الله عليه وآله)) وهم يخالفون شريعته؟

٦ ــ ومن معالمها اختلاف القيم والموازين التي يتفاضل بها البشر من إلهية حقيقية إلى شيطانية وهمية، فالقرآن يصرح:} إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ {[١٦٧]،} قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ{[١٦٨]) بينما الجاهلية تتفاضل بالمال والجاه وكثرة الولد} أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ، حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ{[١٦٩]، } وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ{[١٧٠]}، وهذه الأمور من الوضوح بحيث لا احتاج إلى ذكر امثلة ، والآيتان التاليتان توضحان هذه المقارنة الصارخة بين المقاييس :} زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقنطرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ، قُلْ أُؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ{[١٧١]). ويقول تعالى :} وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ{ ([١٧٢]).

٧ ــ ومن الخصائص المشتركة للجاهليتين انتشار الرذائل الخلقية واوضحها شرب الخمر والتطفيف في الميزان والغش والكذب واللواط قال تعالى :} وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ{[١٧٣]}،} وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ{ [١٧٤]}،} وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ{[١٧٥]}، بل يستهزءون من الانسان النظيف} وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ{[١٧٦]}، بحيث ان جعفر بن ابي طالب سجل اسمه في التأريخ على انه ممن حرم على نفسه الخمر والزنا في الجاهلية، ومن رذائل اخلاقهم ان القوي يأكل الضعيف وانعدام الاخلاق والمثل الانسانية فضلا عن الإلهية والمهم هو المنافع الشخصية. وها هي حضارة اليوم تسحق شعوبا بكاملها وتهلك الحرث والنسل من اجل ما يسمونه (المصالح) التي هي فوق كل شيء عندهم، اما الهدف الحقيقي وهو رضا الله تبارك وتعالى والفوز في الاخرة فهذا تخلف ورجعية، قال تعالى:} وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأمْرِ شَيْءٌ {[١٧٧]}، فهذه غايتهم وهذا هو هدفهم الذي يعيشون من اجله هل لنا من الأمر من شيء .

٨ ــ ومن اهم خصائص الجاهلية بل هي السبب في تحققها ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا الذي حذر منه رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) : ((كيف بكم اذا فسدت نساؤكم وفسق شبابكم ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهو عن المنكر؟ فقيل له : ويكون ذلك يا رسول الله؟ فقال : نعم، وشر من ذلك، كيف اذا امرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟ فقيل له يارسول الله ويكون ذلك؟ فقال ((صلى الله عليه وآله)) : وشر من ذلك، كيف بكم اذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا))([١٧٨]). وهذا ما وصلت اليه المجتمعات اليوم والتقصير أول ما يبدأ من علماء الدين أو الربانيين على تعبير القرآن وتخاذلهم وتقاعسهم عن اداء وظيفتهم، واوضح مصداق للربانيين هم انتم يا طلبة وفضلاء الحوزة الشريفة. قال تعالى :} وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ، لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ{ [١٧٩]}،} كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ

عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ، تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ{[١٨٠]}، وهذه خصيصة أخرى من خصائص المجتمع البعيد عن الاسلام وهي موالاة الذين كفروا، وعن هذا التقصير يقول أمير المؤمنين ((عليه السلام)) : ((اما بعد فانه إنما هلك من كان قبلكم حيثما عملوا من المعاصي ولم ينههم الربانيون والاحبار عن ذلك، وانهم لما تمادوا في المعاصي نزلت بهم العقوبات فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر واعملوا ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لن يقربا أجلا ولن يقطعا رزقا))[١٨١]) وبدون القيام بهذه الفريضة لا تبقى للمؤمنين قيمة لا عند الله ولا عند رسوله بل ولا حتى عند اعدائهم، لذلك كان هناك موحدون بين قريش وهم الاحناف الذين نبذوا عبادة الاصنام وتفرغوا لعبادة الله سبحانه، لكن لم تكن لهم قيمة عند المشركين ولم يأبهوا بوجودهم لانهم تركوا هذه الفريضة العظيمة.

بينما جعل القيام بهذه الوظيفة من صفات المجتمع المسلم بحق:} كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ{[١٨٢]}،} وَلَيَنصُرَنَّ اللّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ، الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ{ [١٨٣]}،} وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ{[١٨٤]}،} وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ{[١٨٥]}، وغيرهم كثير ولسنا هنا بصدد الاستقصاء فان هذا البحث مبني على الاشارات فقط ومجرد فتح الباب للتفكير في هذه القضايا وكل باب ينفتح منه الف باب بلطف الله تبارك وتعالى وسعة رحمته.

٩ ــ ومن معالم الجاهلية سيطرة الخرافات والاساطير، فمثلا كانت العرب تتشاءم من صوت الغراب والبوم، والغرب اليوم يتشاءم بلا معنى من رقم (١٣) وانتشر يومئذ العرافون والكهنة وراجت سوقهم، واليوم نرى اقبال الناس على قارئي الكف والرمل والابراج والطريحة واصحاب النور والمطوعات ونظائرها مما ينطلي على الجهلة والسذج.

١٠ ــ ومن سمات الجاهلية الصد عن القرآن وعزل الناس عنه بشتى الطرق فقد كان النضر بن الحارث وهو ممن ذهب إلى بلاد فارس وتعلم من اخبار ملوكهم يتعقب رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) فاذا قام ((صلى الله عليه وآله)) من مجلس جلس اليهم النضر وتحدث لهم ثم يقول : بالله أيّنا احسن حديثاً قصصاً انا أو محمد؟ وكانوا يصفون القرآن بانه اساطير الأولين أو احاديث اكتتبها فهي تملي عليه بكرة واصيلا أو حديث يفترى، أو يصفقون بصوت عال عند تلاوته ((صلى الله عليه وآله)) للقرآن ليحولوا دون سماعه، ويصف القرآن موقفهم هذا بقوله :} وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ{([١٨٦])، وقال تعالى :} وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ{([١٨٧])، وها هي جاهلية اليوم تصف القرآن نفس الاوصاف بأنه من كلام محمد ويمثل نبوغا انسانيا وليس وحيا إلهيا، وحاولوا التأليف في متناقضات القرآن ولكنهم لما عجزوا واكتسحهم القرآن وفرض وجوده عليهم عمدوا ــ بما اوتوا من خبث ومكر وخداع ــ إلى تفريغه من مضمونه وعزله عمليا عن واقع الحياة وحوّلوه إلى ما يشبه الاناشيد والاغاني التي يترنم بها المطربون ويعبر الجالسون عن طربهم بصيحات (الله الله ياشيخ) وحوّلوه إلى تعويذات يُعلقّها على صدورهم أو في بيوتهم لازيد من ذلك. وهذا الاسلوب كما ترى اخطر من اسلوب النضر بن الحارث وأمثاله وأشد مكرا وأفتك أثرا.

١١ ــ ومن التصرفات البارزة التي يتصف بها الجاهلون: هي الجمود على التقاليد الموروثة عن السلف والتزمت في الالتزام بها وعدم الخروج عنها وان قام الدليل والحجة على خلافها. وهذا التصرف نتيجة التحجر وعدم السلامة في التفكير وتحكيم العاطفة باعتبار ان الشيء الذي تتوالى عليه اجيال من الآباء والأجداد يكتسب قداسة يصعب اختراقها. وقد كرر القرآن هذا المعنى كثيرا بحيث نستطيع ان نفهم منه ان هذه كانت من المحن التي اشترك فيها جميع الانبياء. قال تعالى :} وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ{([١٨٨])،} إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءهُمْ ضَالِّينَ، فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ{([١٨٩])،} قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ{([١٩٠])، } بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ، وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ، قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ

كَافِرُونَ{[١٩١]}، فالآيتان الاخيرتان تدلان على ان هذه المحنة الكبيرة تواجه كل من يريد ان يحرر مجتمعه ويسعى لاصلاحه، لقوله تعالى :} وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ{[١٩٢]}، وليست مختصة بالانبياء وحدهم.

وجاهلية اليوم لا تختلف عن الجاهلية الأولى في ذلك، والشواهد عليها كثيرة وقد عانت مجتمعاتنا كثيراً من هذه (النزعة الاستصحابية) على تعبير احد المفكرين الحوزويين . .

١٢ ــ ومن علامات الجاهلية عدم معرفة الإمام الحقيقي ((من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية))[١٩٣] ولا يراد بالمعرفة معرفة الاسم فقط بل معرفة المسؤولية الكاملة والتكليف التام تجاه الإمام والقيام بها حق القيام وهذا التقصير واضح منا تجاه صاحب العصر (اروحنا له الفداء) وقد وصف الدعاء المأثور هذه الجاهلية ((اللهم عرفني نفسك فانك ان لم تعرفني نفسك لم اعرف نبيك اللهم عرفني رسولك فانك ان لم تعرفني رسولك لم اعرف حجتك اللهم عرّفني حجّتك فانك ان لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني))[١٩٤] والضلال عن الدين هو عين الجاهلية.

وهذا ما يحتاج إلى بحث كامل عن لزوم وجود الامام والحجة في كل زمان وتكليفنا في زمان الغيبة ومسؤوليتنا تجاه الإمام ((عليه السلام)) والاجابة عن الكثير من التساؤلات والمشاكل الفكرية التي تحاط بها قضية الإمام ((عليه السلام)) مما هو غائب عن ذهن المؤمنين به فضلا عن غير المؤمنين به اصلا، بينما هم ((عليهم السلام)) ((باب الله الذي لا يؤتى الا منه))[١٩٥] فكيف يهتدي إلى الله سبحانه من لايعرف بابه فماذا بعد الله الا الضلال المبين.

١٣ ــ ومن سماتها الخضوع للماديات وعدم الاعتراف بما وراء المادة وانكار الغيب قال تعالى :} وَقَالُواْ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ{[١٩٦]، } وَقَالُوا مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلا يَظُنُّونَ{[١٩٧]}، فيأتي القرآن ليؤسس لهم اهدافا سامية يعيشون من اجلها}: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ{[١٩٨]}، }قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ

وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ{[١٩٩]}، } ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ{[٢٠٠]}، فالإنسان ما خلق فقط لهذه الدنيا حتى يكرس همه لها بل جعل في الأرض خليفة ليستعمرها ويجعلها حرثا لآخرته وخالقه يحصى عليه اعماله لينظر كيف يعمل، ويأتي التوبيخ الالهي لمثل هذا الإنسان الغارق في الماديات} أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدىً، أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى، ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى، فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى، أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى{[٢٠١]}، بلى سبحانك اللهم انت قادر على ذلك وعلى كل شيء، نعم،لكن هذا لايمنع من ان يأخذ نصيبه من الدنيا من دون ان يجعله هدفا وغاية وانما يوظفه لخدمة الهدف الحقيقي وهو رضا الله تبارك وتعالى :} وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ{[٢٠٢]}، فليس النقص والخلل في حيازة الدنيا لذا قيل: ((الدنيا مزرعة الاخرة))[٢٠٣]) وفي حديث آخر : ((الدنيا متجر اولياء الله)) ففيها يتاجرون مع الله تجارة لن تبور.

١٤ ــ ومن سمات الجاهلية التشتت والتفرق والتمزق: قال تعالى:} وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ{[٢٠٤]}، وكل ذلك بسبب تضييعهم للمحور الواحد الذي يجب ان يجتمعوا حوله وهو توحيد الله تبارك وتعالى، وجعلت الكعبة المشرفة رمزا له، لكن المجتمع البعيد عن الله يتمزق دولاً وبلداناً أولا، حتى وصل عدد دول العالم اليوم ازيد من (١٨٠) دولة ويتمزق اجناساً ويتفرق قوميات حتى داخل البلد الواحد ويتمزق فكريا فهذا شيوعي وهذا رأسمالي وهم ابناء بلد واحد وقومية واحدة ودين واحد ويتمزقون ايديولوجيا حتى داخل الدين الواحد بل داخل المذهب الواحد وكل طائفة تنقسم على نفسها فرقا وهكذا :} كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ{[٢٠٥]}، وقد نبه القرآن إلى ان هذا التفرق هو احدى عقوبات الابتعاد عن المنهج الالهي: قال تعالى :} قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ{[٢٠٦]}، وجاء الاسلام ليوحدهم بهذا القرآن قال تعالى :} وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ{[٢٠٧]}، وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ، وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ{ [٢٠٨]}.

١٥ ــ ومن سمات الجاهلية الواضحة الرعب من الموت ومن كل ما يوحي به أو يشير اليه وذلك لانهم خسروا الآخرة وجعلوا غاية همهم اشباع شهواتهم وأطماعهم} قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ، وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ، وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ{ [٢٠٩]}، قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاء لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ، وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ{[٢١٠]}، فَإِذَا جَاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ{[٢١١]}، لكن القرآن يقرر لهم حقيقة دامغة لا مفر منها} قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ{[٢١٢]}، قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَو الْقَتْلِ وَإِذًا لا تُمَتَّعُونَ إلا قَلِيلاً{ [٢١٣]}، أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ{[٢١٤]}، قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ{ [٢١٥]}، فالخوف من الموت لايكون الا بالاستعداد له بالايمان والعمل الصالح وإعمار الآخرة بما يرضي الله تبارك وتعالى ويقرب منه.

واشعر انني إلى هنا قد قدمت اشارة كافية وفتحت باب التفكير بمقدار كافٍ في هذا الاتجاه لان أهم خطوة في معالجة امراضنا الاجتماعية هي تشخيص الداء بدقة ومن ثم وصف العلاج المناسب.

واتضح لدينا الآن من خلال هذه النقاط العديدة تحقق عنوان الجاهلية في البشرية اليوم وعلمنا ان لطف الله بعباده دائم ولا يختص بقوم دون قوم، فجاهلية الأمس ليست أولى من جاهلية اليوم ولا خصوصية لها حتى ينزل اليها تبارك وتعالى قرآناً ويبعث اليهم رسولا، ويترك جاهلية اليوم

سدىً، فما أحوجها إلى مصلح وهو الحجة بن الحسن (ارواحنا له الفداء) وما احوجنا إلى القرآن لينقذنا من حضيض الجاهلية إلى قمة الاسلام فلنكرّس جهدنا في الاستفادة من قابلية القرآن وقدرته على علاج امراض البشرية والارتقاء بها في سلم الكمال، فان القرآن خالد وحي ومعطاء إلى يوم القيامة ومن خلوده قدرته على تشخيص الداء وتقديم الدواء لكل مجتمع وكل زمان ومكان وما علينا الا ان نستثير كوامن القرآن ونلتمس منه دواء دائنا وامراضنا الاجتماعية والفردية فاذا أصيبت الأمة بالتمزق والتشتت فدواءهم قوله تعالى :} وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ{([٢١٦])، بعد معرفة ان حبل الله هما القرآن وأهل البيت ((عليهم السلام)) بحسب الحديث الشريف، واذا أصيبت الأمة بالجبن والخور فعلاجهم قوله تعالى :} أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ{ ([٢١٧])،} قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ{([٢١٨])، واذا مر المجتمع ببلايا ومصاعب ومحن فشفاؤهم في قوله تعالى :} أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ ألا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ{([٢١٩])، واذا شعروا بالاحباط واليأس فعلاجهم قوله تعالى : } وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ{([٢٢٠])،} وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ{([٢٢١])،} إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ{([٢٢٢])، واذا ألقينا مسؤولية الانحراف والظلم على غيرنا أو على الزمن فلنقرأ قوله تعالى:} وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ{([٢٢٣])} إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ{([٢٢٤])،} وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ{([٢٢٥])، واذا انصاع الناس وراء الكثرة الكاثرة ولسان حالهم (حشر مع الناس عيد) بلا تعقل وروية وبصيرة، أجابهم القرآن : } وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ{ ([٢٢٦])،} وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ{([٢٢٧])} وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ{([٢٢٨])، ومن الامراض الاجتماعية التي عالجها القرآن (الاشاعة) وهو داء فتاك يفرق المجتمع ويزلزل كيانه ويبلبل، افكاره فقال فيها وفي علاجها :} وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً{ ([٢٢٩])، وغيرها الكثير مما يعالج عللنا المزمنة.

وهنا ينبغي الاشارة إلى بعض الدروس المستفادة من طريقة القرآن في اصلاح المجتمع وهدايته :

١ ــ الالتفات إلى جانب العلل اكثر من المعلولات عند معالجة حالة معينة وهو شيء مهم وضروري، فعندما يراجع المريض طبيبا ويشرح له الاعراض التي يعاني منها فان اهم ما يقوم به الطبيب تشخيص العلة وتعيين العلاج لها، اما الاكتفاء بمعالجة الاعراض المرضية كوجع الرأس وألم البطن أو ارتفاع درجة الحرارة من دون ان يشخص العلة فهذا من خطل التفكير، فمثلا ان من يريد ان يعالج ظاهرة التبرّج، أو ميوعة الشباب وتقليدهم للغرب، أو امتناع الناس عن دفع الخمس أو اداء الصلاة، أو ارتكابهم للفواحش كشرب الخمر واللواط، أو قل: عموم ابتعاد الناس عن تطبيق شريعة الله وتعمدهم مخالفتها لا يكتفي بان يقول لهم هذا واجب فافعلوه وهذا حرام فاتركوه لانهم مسلمون ويعرفون ذلك، فلا بد من تشخيص العلة لضعف الوازع الديني عندهم الذي هو الدافع للتطبيق ومن ثم علاجه، وضعف الوازع الديني انما منشأه ضعف الجانب الاخلاقي والعقائدي لدى المجتمع، لذا ركز القرآن في مكة ــ أي في أوائل نزوله ــ على هذين الجانبين. بما طرح من عقائد ودافع عنها بالادلة المختلفة ورد الاشكالات الموجهة اليها، وغالبا ما كان يثير كوامن فطرتهم لانه دليل وجداني مرتكز في باطن كل إنسان ولا يستطيع احد إنكاره والتنصل منه، واهتم بعرض مشاهد يوم القيامة وسنن الله في الامم السالفة وعرض الكثير من مواقف العظة والعبرة حتى ايقظ عقولهم وطهر قلوبهم وعندئذ كلفهم بالأحكام فاستجابوا لها طواعية، ونحن نعلم ان فترة التربية في مكة كانت اكثر منها في المدينة ومن هذا يعلم الاهتمام المتزايد بجانب العلل اكثر من المعلولات.

٢ ــ ومن هنا ينفتح الكلام عن الدرس الثاني المستفاد من طريقة القرآن في اصلاح النفس والمجتمع وهي ضرورة بناء الجانب الاخلاقي والعقائدي لشخصية المسلم، وقد اعتمد القرآن في هذا البناء على عدة اساليب ذكرتها في دروس (فلنرجع إلى الله) وقلنا هناك : انه سلك طريق العوالم الثلاثة التي يعيشها الانسان (العقل، القلب، الروح) فمثلا يربط بين منع السماء بركاتها والارض خيراتها وتسلط الاشرار وعدم استجابة الدعاء فيجعل علتها ابتعاد الناس عن

شريعة الله وترك فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمن اراد ان يتخلص من هذه النتائج السيئة فليؤدّ هذه الفريضة. ففي الحديث : ((اذا تركتم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر نزعت عنكم البركات ونزلت عليكم البليات وسلطت عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم))([٢٣٠]).

وكان على رأس هذه الاساليب ما اشرنا إليه من عرض مشاهد وأهوال الموت وما بعده ويوم القيامة وحوار الكافرين والفاسقين في النار ومع شياطينهم والتذكير بسنن الله تبارك وتعالى في المعرضين عن طاعته. قال تعالى :} دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا{ ([٢٣١])،} فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ{ ([٢٣٢])، وتعداد نعمه على العباد التي لاتعد ولا تحصى مع اقرارهم بحقيقة فطرية:} هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إلا الإِحْسَانُ{ ([٢٣٣])، ثم بيان السعادة التي تعمر قلب الانسان وحياته ومجتمعه لو طبق شريعة الله. قال تعالى :} وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ{ ([٢٣٤]).

ان العقيدة والاخلاق هما اللذان يرسمان الهدف الذي يعيشه الانسان وبالتالي فهما يُحدّدان معالم مسيرته، فمثلاً اذا اريد التبرع لمشروع خيري أو مساعدة محتاج فايهما الذي يبادر إلى المشاركة : المؤمن الذي يبتغي رضا الله سبحانه ويرجو العوض منه أم البعيد عن الدين الذي غاية همّه الاستزادة من الدنيا والذين هم} قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ{([٢٣٥])، فالأول اسرع للمشاركة. فهذا مثال على اثر العقيدة والاخلاق في دفع الانسان إلى التطبيق ،فالمؤمن هدفه الله تبارك وتعالى، فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا، وانما انحدرت الأمة وضلت لانها اضاعت الهدف الذي تعيش من اجله فتفرقت بهم السبل. قال تعالى :} وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ{ ([٢٣٦])، فما علينا الا ملء هذا الفراغ في عقول وقلوب المجتمع حتى تصح مسيرته وتنتظم حياته وفق ما اراد الله تبارك وتعالى، وان نأخذ بطريقة القرآن في إحياء القلوب وترقيقها وتهذيب النفوس وتغذيتها بالعقائد الحقة التي هي منشأ الاخلاق الفاضلة. قال تعالى :} أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ

وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ{ ([٢٣٧]).

وهذا باب ينبغي للمفكرين والمربين الولوج فيه وهو اسلوب القرآن في الموعظة وإحياء القلوب وجميع الآيات الشريفة فيه التي لو تأملها العاقل لأعاد النظر في منهج حياته، كقوله تعالى في سورة الدخان :} كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ، وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ، كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ، فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ{ ([٢٣٨]).

واني انصح بقراءة كتاب (القلب السليم) الذي يتألف من جزئين اولهما في العقائد والآخر في الاخلاق وهما صادران من قلب مخلص طاهر.

٣ ــ التدريجية في الهداية والاصلاح والأخذ بأيدي الناس برفق ومثالهم الرئيسي على ذلك : التدريج في تحريم شرب الخمر ــ باعتباره عادة راسخة في المجتمع وقد اشربت في قلوبهم وعقولهم ــ فتدرج في المنع على مراحل، أوّلها :} يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ{ ([٢٣٩])، فقال بعضهم لا نشربها لانها اثم وقد حرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم، وقال بعضهم نشربها بمقدار المنافع فيها، ثم نزل قوله تعالى :} لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ{ ([٢٤٠])، فامتنع بعضهم وقالوا لاتتناول شيئا منافياً للصلاة، ثم نزلت آية المائدة التي افادت المنع المؤكد الجازم :} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ{ ([٢٤١])، ونفس نزول القرآن نجوماً أي مبعضاً على مدى (٢٣) سنة انما يهدف ــ فيما يهدف اليه ــ المعالجات الآنيّة أخذاً بنظر الاعتبار الزمان والمكان والظروف الموضوعية وتباين مستوى الناس واستعدادهم للتلقي والتطبيق.

ويمكن ان يكون التدرج بعدة اشكال فعندما يراد معالجة ظاهرة اجتماعية متأصلة ــ كالسنينة العشائرية مثلاً ــ فنبدأ أولاً بإثارة الاشكالات حول مدى صحتها وجدواها والتشكيك فيها ثم

طرح البدائل والخيارات الاخرى المقابلة لها فاذا زرع في النفوس هذا التشكيك وبدأ الالتفات إلى البديل الافضل فستنشأ القناعة بإبدالها، وعندئذ يمكن التصدي لنقضها، اما محاولة نقضها مباشرة ومن دون هذه التهيئة فانه يعني الفشل الذريع، وما دامت راسخة ومتأصلة وقد جبل الانسان على احترام ما هو مألوف ومورث عنده والتعبد به فسيكون هؤلاء المتعبدون كلهم ضد اية محاولة لتغيير هذه الظاهرة الاجتماعية.

فعندما بُعث الرسول ((صلى الله عليه وآله)) بالنبوة لم يتعرض للاصنام مباشرة بل كان يعبد الله تعالى هو ((صلى الله عليه وآله)) وعلي ((عليه السلام)) وخديجة ((عليها السلام)) بمرأى ومسمع من قريش من دون ان تتعرض له بسوء، لكنه ((صلى الله عليه وآله)) فتح الباب للعديد من التساؤلات : ماذا يفعل هؤلاء الثلاثة ولمن يعبدون ولماذا تركوا طريقة قومهم وما هذه الشجاعة والايمان الراسخ في قلوبهم الذي يجعلهم يقفون بكل اطمئنان مقابل الجميع . . . هذه التساؤلات ادت إلى اسلام جماعة ــ راجع قصة عبدالله بن مسعود في كتب السيرة ــ ولم تعارضه قريش لانه لم يستفزها ولم يُثر حفيظتها فيما لو تعرض للأصنام مباشرة.

٤ ــ الاهتمام وإلفات نظر الأمة إلى المرتكزات الاساسية لكيان الأمة الذي لا يحفظ الا بها خصوصاً تلك التي يعلم اعراض الأمة عنها واهمالها لأمرها من بعده ((صلى الله عليه وآله)) فشدد عليها كثيراً، مثلاً, الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإمامة والولاية للمؤمنين ومشاققة الكافرين ومودة ذوي القربى والاعتصام بالقرآن والعترة والمواظبة على المساجد والجماعات والجمعات، وما ان غاب شخصه ((صلى الله عليه واله)) حتى اهملت الأمة هذه الاسس الرصينة لحفظ كيانها فبدأ العد السريع للإنحراف فأي عودة للصلاح والإصلاح لابد لتحقيقها من اعادة دور هذه الأمور في حياة الأمة إلى بحوث مستقلة باذن الله تعالى.

٥ ــ التسلية وتطييب الخاطر والتخفيف عن المصاعب والاتعاب التي تواجه الشخص الذي يسعى إلى اصلاح المجتمع وهدايته أو ما سميناه بحامل القرآن كرسالة اصلاح، قال تعالى :{ المص، كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ}([٢٤٢])، و}فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاء مَعَهُ

مَلَكٌ{ ([٢٤٣])،} وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ، إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ{ ([٢٤٤])،} لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذىً كَثِيراً وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ{ ([٢٤٥]) ، وارق تعبير وألطفه قوله تعالى :} وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا{([٢٤٦])، عين الرعاية واللطف والرحمة والحراسة والتوجيه والبصيرة وغيرها. وتجد سورا كاملة نزلت لهذا الغرض كسورة يوسف التي تحس انها نزلت في الفترة العصبية التي عاشها رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) في مكة قبل الهجرة حيث فقد الناصر بموت ابي طالب وخديجة ((عليهما السلام)) ويأس عمليا من إسلام قريش وحاول ان يجد مأوى آخر غير مكة كالطائف فلم يفلح فضاقت الدنيا بالمؤمنين، وفي ذلك الحين نزلت عليهم سورة يوسف تقص عليهم كيف تآمر الأخوة على أخيهم الصغير ورموه في الجب وهو يعني الموت بحسب الاسباب الطبيعة، لكن الله تعالى يرسل قافلة تستنقذه ويباع إلى بيت ملك مصر ثم يقع في محنة امرأة العزيز وباقي النساء فيسجن سنين لكن الله تعالى ينقذه من السجن ويعلمه تأويل الأحاديث، فنال ببركة ذلك موقع أمين خزائن مصر، ثم أصبح ملكا عليها بعد ان ملك قلوب الناس بأخلاقه وحسن تدبيره. وهنا ياتي اولئك الأخوة المتآمرون ذليلين بين يديه فيعفو عنهم بنفسه الكبيرة وقلبه الرحيم ويقول لهم :} لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ{ ([٢٤٧])، ويجمع الله شمله مع ابيه واخيه. واستعار رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) نفس الكلمة حين فعلت قريش نفس الفعل حتى نصره الله عليهم ومكنه من رقابهم في عقر دارهم مكة فأعاد عليهم كلمة اخيه الكريم يوسف ((عليه السلام)) وقال ((صلى الله عليه وآله)) : ((لاتثريب عليكم اليوم اذهبوا فانتم الطلقاء بعد ان استنطقتم ما تروني فاعلا بكم، قالوا (أخ كريم وابن عم كريم)))([٢٤٨])، وهذا اقرار منهم بسمو ذاته ((صلى الله عليه وآله)) .

٦ ــ الحث على طلب العلم والتعلم والتفقه بكل ما يقرب إلى الله سبحانه ويزيد من المعرفة به، وقيل ان في القرآن اكثر من خمسمائة آية تحث على العلم والتفكر وتثني على العلماء وتذمّ الجهل والجهلاء وتصف عاقبتهم، حتى جعل القرآن صفة الفقه والعلم والمعرفة بالله تبارك وتعالى سببا لمضاعفة قوة المؤمنين على اعدائهم عشرة اضعاف بحسب التعليل المستفاد من ذيل الآية الشريفة، قال تعالى :} يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ

صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ{ ([٢٤٩]) بينما جعل الصبر الذي هو من الاسباب المهمة للنصر بمثابة زيادة القوة ضعفا واحدا فقط: قال تعالى :} الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ{([٢٥٠]) وهذا الفقه شامل لكل نواحي الحياة، فماذا ضخ القرآن من افكار تندرج في ما يمكن تسميته فقه المواجهة مع الكفار؟ قال تعالى :} وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيماً{ ([٢٥١])، فلماذا الفرار من لقائهم ما دامت الاضرار تحل بالطرفين؟ والفرق انكم ترجون ما عند الله في الآخرة فلا خسارة، بينما هم لايرجون ما عند الله شيئا الا العذاب الأليم. وقوله تعالى :} وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ{ ([٢٥٢]) وقوله تعالى :} مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللّهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ{ ([٢٥٣]) فلماذا التقاعس والتقصير في تقديم ما تقتضيه طاعة الله تبارك وتعالى من جهد ومال ولماذا سوء الظن بالله تعالى هذا الذي يعتري الناس حين يطلب منهم دفع ما بذمتهم من حقوق شرعية كالخمس والزكاة ونحوهما؟ ومنها قوله تعالى :} ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُواْ كَذَلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ{ ([٢٥٤])، ومنها هذه الآيات المباركة من سورة محمد، واذا استطعت ان تنتقل بروحك وفكرك وقلبك إلى تلك الفترة الزمنية السعيدة من حياة البشرية وتتصور أنك ضمن الجماعة المؤمنة المحيطة برسول الله ((صلى الله عليه وآله)) التي واكبته من الزمان الصعب اول الرسالة عندما كانوا قلة مستضعفين تسومهم قريش سوء العذاب حتى هذه الفترة التي دب فيها العجز واليأس لدى المشركين بعد وقعة الاحزاب حيث اصبح زمام المبادرة بيد رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) وتوالت انتصاراتهم من فتح الحديبية إلى فتح خيبر وفتح مكة والطائف ثم اليمن والجزيرة كلها، فتصور انك هناك وينزل عليك هذا الخطاب القرآني العظيم ومن لدن ربك ومدبر امورك وخالق السموات والارض يتحدث إليك مباشرة ليقول لك : } بِسْمِ اللّهِ

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ{ }الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ، ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ، فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاء اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ، سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ، وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ، أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا، ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ[٢٥٥]، إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ، وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ، أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ{ ([٢٥٦])،} وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ{ ([٢٥٧]).

وهو اثناء ذلك يحذر من محاولات المنافقين الذين يخذلون المؤمنين عن مواجهة الاعداء ويسخرون من ضعف امكانياتهم متغافلين عن سر قوة المؤمنين وهي اتصالهم بالله تبارك وتعالى، فاسمعه سبحانه يقول :} إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلاء دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ{([٢٥٨]).

وتندرج في هذا السياق ــ اعني فقه المواجهة مع الكفار ــ كل الوعود الإلهية بالنصر والغلبة ووراثة الارض، وان العاقبة لهم، وان الله معهم، وتنزل الملائكة عليهم بالسكينة من ربهم، ورفع الخوف والحزن عنهم، وعقد صفقة الشراء معهم فيشتري منهم انفسهم واموالهم والثمن

الجنة، وكذا مضاعفة القرض لله تبارك وتعالى والانفاق في سبيله. ولا يسع هذا المختصر كل التفاصيل.

والحقيقة الكبرى التي يثبتها القرآن الكريم بهذا الصدد ان النصر والهزيمة امام العدو الخارجي ــ الكفار ــ انما هي فرع النصر والهزيمة مع العدو داخل النفس الامارة بالسوء وهو الشيطان، فتراه عندما يعد المؤمنين بخلافة الارض وورثتها ومن عليها فانه يجعل الخطوة الاولى في ذلك اصلاح الذات وتطبيق المنهج الالهي على النفس أولاً, قال تعالى :} وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ، وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ{[٢٥٩]}، فاولاً جعلهم ائمة وهو يعني تطهير ذواتهم وتنزيهها، ويؤكد ان لاقيمة للنصر على الكفار اذا لم يكن مقترناً بالنصر على الشيطان واخلاص العمل لله سبحانه لان العمل ان لم يكن ابتغاء مرضاة الله فهم والكفار على حد سواء وكلاهما أهل دنيا وما لهما في الآخرة من نصيب ،فمثلاً في خضم هزيمة المسلمين في معركة احد والخسارة الاليمة التي حلت بهم يخاطبهم سبحانه:} إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ{[٢٦٠]} فهزيمتهم وإدبارهم كان بسبب ما اكتسبوا من السيئات، وبالمقابل يقول تعالى :} إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ{[٢٦١]}، ونصر الله يكون بطاعته تبارك وتعالى والا فانه غني عن العالمين، والآية المتقدمة} وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ{[٢٦٢]}، ومن هنا خاطب رسول الله ((صلى الله عليه واله وسلم)) سرية مجاهدين عادت من القتال : ((مرحبا بكم ، قضيتم الجهاد الاصغر وبقي عليكم الجهاد الاكبر. قيل : وما هو يارسول الله ((صلى الله عليه واله وسلم)) . قال : جهاد النفس))[٢٦٣]).

فعندما يهتم المسلمون اليوم بأمر الدولة الصهيونية اللقيطة ويسعونَ إلى ازالتها، عليهم ان يلتفتوا إلى ان هذه الدولة ما هي الا احد الاعراض المرضية التي تظهر على جسد الأمة الاسلامية نتيجة وجود مرض كامن فيها هو الاصل والعلة لهذه الاعراض، والمرض هو ابتعاد المسلمين عن المنهج الإلهي في حياتهم فلا ينبغي لهم الاهتمام بالاعراض المرضية والغفلة عن علة هذه الاعراض، ويكون مثلهم كما يجري في ساحة مصارعة الثيران ــ على تشبيه احد المفكرين[٢٦٤] ــ فالثور الهائج يركز كل همه وعدائه وغضبه وقوته على الخرقة الحمراء

ويغفل عن المصارع الحامل لها، فراح هذا المصارع يغرز في عنقه الخناجر التي تصيب مقتله وهو غافل عنه حتى يموت ويفنى. فلا يكون حالنا كحال ذلك الثور؟! وانت ترى ان الامة تقترب من النصر على اعدائها كلما اقتربت من النصر على انها وبمقدار ما تعود وترجع إلى الله تبارك وتعالى.

٧ ــ تكرار واستمرار جرعات العلاج وعدم الاكتفاء بعرض العلاج لمرة واحدة عند التصدي لتصحيح حالة منحرفة أو سد نقص أو علاج خلل موجود في فكر الأمة أو عقيدتها أو سلوكها فمثلا تجد قصص بعض الانبياء قد تكررت اكثر من عشر مرات وكل طرح له ذوقه واثره ودوره في تحقيق الغرض ويترك انطباعا غير الذي يتركه الآخر وان كان الجميع بنفس المضمون، فعندما نريد ا نتناول قضية تبرّج المرأة امام الرجل وخلاعتها ونصب نفسها شيطانا يصد عن ذكر الله تعالى وطاعته لتجسيد عمليا قول ابليس علمياً :} لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ{([٢٦٥])، وهؤلاء الفاسقات يستعملنَ شتى الاساليب لغواية الرجال وايقاعهم في المعصية من السفور المتبرج في الشارع إلى الحركات المتميعة في الجامعات إلى ابداء مفاتن الجسد إلى الرياضة إلى المشاهد الخليعة في الفن، فعندما نريد ان نتصدى لمواجهة هذا الداء الفتاك في المجتمع فيمكن معالجته في كتاب عن الظواهر الاجتماعية المنحرفة وكتاب عن قضايا المرأة وكتاب عن اثر الرياضة والفن في تدمير اخلاقيات المجتمع وكتاب عن مشاكل طلبة الجامعات وهمومهم وتطلعاتهم وكتاب بنفس المضامين عن الشباب وكتاب عن فقه العائلة ويتضمن الروابط الاسرية والاجتماعية وفق تعاليم الشريعة وهكذا لان هذه المشكلة الخطيرة تدخل في جميع هذه المحاور، وتناولها في كل المحاور يعطيها صورة ونمطا غير الذي يعطى عند عرضها في محور آخر، ولا اقل من ازدياد عدد الشرائح التي تخاطبها هذه الكتب وبالنتيجة تكون الصورة متكاملة عندما تُتناول من جميع الاتجاهات.

٨ ــ سلوك مختلف الطرق لهداية الانسان ولما كان له عوالم ثلاثة هي النفس والعقل والقلب فتجده قد سخرها جميعا ووظفها لاستمالة البشر إلى طاعة الله تبارك وتعالى وقد شرحت ذلك بشيء من التفصيل في دروس (فلنرجع إلى القرآن).

وتجده كثيرا ما يستنطق الفطرة ويستثيرها وقد وصف علة انزال القرآن في بعض الاحاديث انه : ((ليستثير كوامن فطرتهم)) فان الوجدان اوضح دليل واصدقه لا يناقش فيه احد، فاستمع اليه تعالى وهو يخاطب الفطرة في اثبات الصانع :} أفرَأيْتُم مَّا تُمْنُونَ، أأنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ{ ،} أفرَأيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ، أأنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ{ ،} أفرَأيْتُمُ الْمَاء الَّذِي تَشْرَبُونَ، أأنتُمْ أنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ{،} أفرَأيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ، أأنتُمْ أنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أمْ نَحْنُ الْمُنشِؤُونَ{([٢٦٦])، أو يقول تعالى وهو في مقام عتاب الانسان العاصي :} هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إلا الإِحْسَانُ{ ([٢٦٧]) ، وانت ترفل في نعم الله تبارك وتعالى:} وَإن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا{ ([٢٦٨]).

واعود الآن إلى التساؤل الذي طرحناه وهو كيف السبيل إلى اعادة القرآن إلى الحياة والاستفادة منه، ويتحمل مسؤولية ذلك طرفان : المجتمع والحوزة الشريفة التي هي عنوان ورمز وعي الأمة وفكرها ومستواها الديني فقد قلنا ان اهم وظيفة تقوم بها الحوزة في المجتمع هي طرح مفاهيم القرآن ورؤاه وتصوراته واخلاقه وعقائده ــ التي اشرنا إلى بعضها ــ إلى المجتمع بالفهم الصحيح النقي كما يريده القرآن وبالشكل المناسب ليكون دوره فاعلا في حياة الأمة ويكون ذلك بعدة قنوات كالمنبر الحسيني والمحاضرات والندوات وخطب الجمعة والجماعة والكتب والمجلات والنشرات ونحوها.

ولكن قبل ذلك يجب اعادة القرآن إلى مناهج الدراسة الحوزوية ويتم ذلك على مستويين :

الأول : الدراسات الأولية أي مستوى المقدمات والسطوح الابتدائية فيعطون المناهج التالية :

١ ــ حفظ وتلاوة القرآن الكريم وضبطه بالشكل وفق قواعد اللغة العربية واتقان قواعد تجويده ضمن الاطار الشرعي.

٢ ــ تفسير اجمالي للألفاظ ولو على نحو شرح المفردات كما في تفسير شبر ونحوه ،ليأخذ الطالب افكارا عامة عن معاني القرآن .

٣ ــ دراسة علوم القرآن، وافضل كتاب في ذلك (البيان) أو مقدمة كتاب آلاء الرحمن المطبوعة في اول تفسير شبر.

٤ ــ إقامة المسابقات في العلوم المختلفة عن القرآن وتخصيص جوائز للفائزين والمتفوقين.

الثاني : الدراسات العالية ويكون على شكل عدة خطوات :

١ ــ فتح باب التخصص في الدراسات القرآنية، وافضل وقت له هو بعد اكمال السطوح العالية حيث يعد الطالب المتخصص منهجاً خاصاً به ويمكن ان يسُتفاد من بعض الكتب الموجودة بعد ان يجرى اختبار معين لاكتشاف أهلية الطالب الذي يريد التخصص في هذا المجال ويفرغ لهذه الدراسة مع توفير المصادر ذات الصلة ليكون مدرسا أو مفسرا أو باحثا قرآنيا.

٢ ــ دراسة تفسير القرآن بشكل معمق اما كل القرآن أو آيات ومقاطع منتقاة منه تخدم هدفا معينا، ويمكن ان يتخذ احد التفاسير متناً يتولى المدرس شرحه والتعليق عليه واضافة ما يمكن اضافته من المعلومات النافعة المستفادة من التفاسير والمصادر الاخرى، وفي رأيي القاصر ان افضل مصدرين هما الميزان وفي ظلال القرآن لان لكل منهما اتجاه خاص في التفسير غير الآخر يعلمه من نهل من معارفهما.

٣ ــ وضع مناهج للدروس في مفاهيم القرآن وتصوراته ونظرياته واطروحاته وفلسفته في الكون والحياة بعد ان يكون الطالب قد اخذ تفسيرا اجماليا لألفاظ القرآن في دراسته السابقة ، وتحصل هذه الامور بدراسة آيات القرآن دراسة موضوعية وليس بالطريقة التجزيئية المتعارفة وان كانت هذه الطريقة هي الاساس لتلك، وقد قارنت بين المنهجين في كتاب (مدخل إلى تفسير القرآن) الذي يعد هذا البحث مقدمة له.

ويركز على المواضيع العلمية أي التي لها واقع معاش سواء على صعيد العقائد أو الاخلاق أو الفكر، فتناول مثلا : التقوى، الصبر، الفقه، التوحيد، الإمامة، الولاية، الشيطان، المعاد، المجتمع المسلم مقومات بنائه وعوامل انهياره، الرجاء والأمل، الموعظة والعبرة، سنن الله في الامم والمجتمعات، وهكذا، وعندئذ ستتغير الكثير من افكارنا لأن المعاني المتداولة الآن للألفاظ القرآنية لاتنطبق بالضبط على الفهم القرآني لها بحسب استقراء موردها في القرآن بسبب ما تراكم من غبار التأويلات والتفسير بالرأي وتحكيم الاهواء والتعصبات وحملات المغرضين وغيرها.

وقد عرضنا قبل قليل مفهوم الاهلية في المصطلح القرآني وصفات وخصائص المجتمع الجاهلي والبدائل الالهية التي يقدمها القرآن وهكذا كنموذج لمفهوم اجتماعي. وأقدم الآن الفهم القرآني للفظ حوزوي وهو (الفقه) كمثال آخر، فالفقه يتداول عندنا على انه العلم بالاحكام الشرعية رغم انه في المصطلح القرآني بمعنى المعرفة بالله تبارك وتعالى ولا ملازمة بينهما كما هو واضح بل النسبة بينهما العموم من وجه. ففي الآية الشريفة :} فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ{ ([٢٦٩]) ونحن نعلم ان الحذر والتقوى لاينشآن من المعرفة بالاحكام الشرعية بل للحذر مناشئه الروحية والنفسية والعقلية وبعد حصول التقوى والمعرفة في القلب يندفع إلى تعلم الاحكام الشرعية وتطبيقها وتستطيع ان تجرب ذلك بنفسك فاقرأ كتب الفقه وتعمق فيها من اولها إلى آخرها هل تراها غذت قلبك بشيء أو زادت فيه الحذر والتقوى؟ وكم رأينا فقيها بالمعنى الاصطلاحي وهو مكب على الدنيا وبعيد كل البعد عن الله تبارك وتعالى والقرآن يقص علينا خبر مثل هذا الفقيه :} وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ، وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ{ ([٢٧٠]).

ومن الشواهد على ان معنى الفقه هو المعرفة بالله تعالى جعل محله القلب في الآيات الشريفة وهو محل المعرفة الحقيقية بالله تعالى، بينما الاحكام الشرعية محلها العقل ، قال تعالى :}

رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ{ ([٢٧١])، وقال تعالى :} لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا{ ([٢٧٢]) لذا جعلت الآية هذا الفقه أي المعرفة الراسخة بالله والمبدأ والمعاد سببا لمضاعفة القوة عشرة اضعاف. قال تعالى :} يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ{ ([٢٧٣])، ويؤكد هذا المعنى ما ورد في الحديث الشريف عن رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) قال : ((الا اخبركم بالفقيه حقا؟ من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من عذاب الله ولم يؤيسهم من روح الله، ولم يرخص في معاصي الله ولم يترك القرآن رغبة عنه إلى غيره، ألا لا خير في علم ليس فيه تفهم، ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه))([٢٧٤]) هذا في كتاب الوسائل. وللحديث بقية في مصدر آخر([٢٧٥]) كالتالي : ((فانه اذا كان يوم القيامة نادى منادٍ : يا ايها الناس ان اقربكم من الله تعالى مجلسا اشدكم له خوفا، وان احبكم إلى الله احسنكم عملا، وان اعظمكم عند الله نصيبا اعظمكم فيما عنده رغبة، ثم يقول عز وجل :لا اجمع لكم اليوم خزي الدنيا وخزي الآخرة، فيأمر لهم بكراسي فيجلسون عليها، وأقبل عليهم الجبار بوجهه وهو راض عنهم وقد أحسن ثوابهم)).

فترى ان صفات الفقيه كل ما يقرب إلى الله تبارك وتعالى، وفي حديث عن أمير المؤمنين ((عليهم السلام)) قال : ((كانت الفقهاء والحكماء اذا كاتب بعضهم بعضا كتبوا ثلاثا ليس معهن رابعة : من كانت الآخرة همته كفاه الله همه من الدنيا، ومن اصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن أصلح فيما بينه وبين الله عز وجل اصلح الله فيما بينه وبين الناس))([٢٧٦]).

وفي حديث عن ابي الحسن ((عليه السلام)) : ((من علامات الفقه الحلم والعلم والصمت، ان الصمت باب من ابواب الحكمة وان الصمت يكسب المحبة وانه دليل على كل خير))([٢٧٧]).

ويمكن استفادة هذا المعنى بالجمع بين حديثين ففي الخصال عن رسول الله ((صلى الله عليه واله وسلم)) : ((صنفان من امتي اذا صلحا صلحت امتي واذا فسدا فسدت امتي : الامراء

والفقهاء))([٢٧٨]) وفي الوسائل([٢٧٩]) عن الامالي. بدل العلماء القراء فاذا ضممنا اليه الحديث الآتي في صفة القراء نحصل على المعنى المذكور.

فبين الفقيه بالمصطلح القرآني والفقيه بالمعنى الحوزوي عموم من وجه اذ قد يكون فقيها بالمعنى القرآني وهو ليس كذلك بالمعنى الحوزوي اذ يوجد الكثير من اولياء الله العارفين ولهم الكرامات المشهودة مع انهم لم يبلغوا درجة عالية في العلوم الحوزوية وقد يكون العكس فتجد شخصا امتلأ ذهنه بالنظريات والافكار الاصولية والعقلية والمسائل الفقهية بحيث تجده ملما حتى بدقائق المسائل لكن قلبه غير معمور بذكر الله تعالى ولو سألته عن ابسط مسألة في تهذيب النفس والسلوك الصالح إلى الله تبارك وتعالى وتصفية الباطن وتطهير القلب لبقي متحيرا، فمثل هذا ليس فقيها بالمعنى القرآني، والكامل هو من جمع المعنيين كما هو شأن علمائنا المقدسين الذين بلغوا مقاما عاليا في الفقه والاصول وشامخا في العرفان ،وهم المقصودون في الحديث الشريف : ((الفقهاء امناء الرسل))([٢٨٠])، وبمثل هذا المنظار القرآني يجب ان نفهم الاحاديث الشريفة لئلا تضيع علينا معانيه السامية.

واني هنا اذكر حديثا واحدا فقط يبين مسؤولية الحوزة الشريفة عن توعية المجتمع وهدايته واصلاحه فقد روي ان رسول الله ((صلى الله عليه واله وسلم)) ((خطب فحمد الله واثنى عليه ثم ذكر طوائف من المسلمين فاثنى عليهم، ثم قال : ما بال أقوام لايتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتفطنون؟ والذي نفسي بيده ليعلمن جيرانهم أو ليتفقهن أو ليتفطنن أو لاعاجلهم بالعقوبة في دار الدنيا ،ثم نزل ودخل بيته ،فقال اصحاب رسول الله ((صلى الله عليه واله وسلم)) : من يعني بها الكلام؟ قالوا : مانعلم يعني بهذا الكلام الا الاشعريين فقهاء علماء ولهم جيران جفاة جهلة.

فاجتمع جماعة من الاشعريين فدخلوا على النبي ((صلى الله عليه واله وسلم)) فقالوا : ذكرت طوائف من المسلمين بخير وذكرتنا بشر فما بالنا؟ فقال رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) لتعلمن جيرانكم ولتفقهنم ولتأمرنهم ولتنهنهم أو لأعاجلنكم بالعقوبة في دار الدنيا، فقالوا: يارسول الله فأمهلنا سنة ففي سنة ما نعلمهم ويتعلمون فأمهلهم سنة ثم قرأ رسول الله ((صلى

الله عليه وآله)) :{ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ، كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ{ ([٢٨١]).))([٢٨٢])

هذه هي بعض المقترحات التي اقدمها بين يدي الحوزة الشريفة في هذا المجال والوظيفة المشتركة للجميع هي المواظبة على تلاوة القرآن والاستفادة منه آناء الليل واطراف النهار وستعرف الكثير عن هذا من خلال الاحاديث الشريفة الآتية.

وهذه الوظيفة للحوزة لاتخصهم وانما خاطبناهم بها لوجوبها عليهم اكثر من غيرهم والا فالمجتمع كله مسؤول عن اتباع هذه الخطوات بحسب ما يناسب كل فرد ،فذوو المعرفة القليلة يبدأون بقراءة التفاسير المبسطة كتفسير شبر، واني انصح كل مسلم ــ وهو ما جربته انا ــ ان يبدأ حياته مع القرآن بان يتلوه في مصحف مفسر كالذي ذكرناه ليتسنى له فهم مفردات الآيات خلال تلاوتها ويستمر على هذا الحال عدة ختمات إلى ان يمتلك معرفة اجمالية بالقرآن ثم يعود إلى نسخة المصحف يتلو فيها مع تطوير قابليته بقراءة كتب التفسير المتقدمة كالميزان وفي ظلال القرآن ويقرأ الكتب التي شرحت مفاهيم القرآن أو تناولت القرآن بحسب الموضوعات حيث يتخذ احدها عنوانا للبحث ثم يستقرأ القرآن فتجتمع كل الآيات المتعلقة بذلك العنوان ثم يستنتج من المجموع تصور القرآن ونظريته ــ وانا هنا استعير هذه المصطلحات الفكرية لاجل استئناس الاذهان بها مع بعض التحفظات ــ لهذا الموضوع الذي يفترض فيه ان يعالج مشكلة واقعية يعيشها المجتمع سواء كانت عقائدية أو اخلاقية أو فكرية أو غيرها.

وقد يكون من الافضل متابعة ذلك مع بعض فضلاء الحوزة الشريفة ليوجهوهم ويجيبوا عن تساؤلاتهم ويرشدوهم لما ينفعهم فان المجتمع والحوزة احدهما يكمل الآخر فالحوزة توجه المجتمع والمجتمع يضغط على الحوزة لتكون بمستوى المسؤولية وبمستوى حاجة الامة وطموحاتها ومواكبة للزمان الذي تعيشه وعندئذ ستنفرز العناصر الكفوءة من الحوزة عن غيرها وستعرف الامة من هو الأصلح لها.

ان القرآن لأيفهم حق فهمه الا عندما يحمله الانسان كرسالة يصلح بها نفسه والذين من حوله ويواجه بها الخطأ والانحراف الذي يضرب بأطنابه على البشرية، عندئذ يعيش في مثل الاجواء التي نزل فيها وعندئذ تنفتح له اسراره، ولا تكفي قراءته لمجرد التبرك وان كان في ذلك فضل لاينكر.

ومن الضروري ان تتناول احدى الدراسات القرآن بحسب تاريخ نزول آياته وان كان الالمام بذلك تفصيلا امرا متعسّراً لعدم وجود دليل قطعي عليه الا انه يمكن اقتناص بعض موارده ويستفاد من هذا البحث فوائد كثيرة في مجال معرفة خطوات القرآن في اصلاح المجتمع باعتباره نزل تدريجيا بحسب الوقائع والحوادث.

إن هذا التنزيل المتدرج للقرآن بدلا من النزول دفعة واحدة له وقعه المباشر وتأثيره الفعال في الحالات التي عالجها، قال تعالى :} وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً{ ([٢٨٣])، وما دام هو كتاب تربية وهداية واحياء فلا بد ان يكون تدريجيا وبلطف فيصف العلاج المناسب في الوقت المناسب وبالجرعة المناسبة لااقل ولا اكثر ولا قبل الموعد ولا بعده، وهكذا أخذ القرآن بيد هذه الامة برفق لتجد نفسها بعد عقدين من الزمان في قمة السمو والكمال والرفعة والعزة والمنعة.

واود هنا ان اذكر بعض الاداب والسنن والمستحبات المتعلقة بقراءة القرآن والمستفادة من الروايات الشريفة :

١ ــ افضل مدة لختم القرآن هي شهر وأن لاتزيد عن اربعة اشهر أي يختمه في السنة ثلاث مرات غير الزيادات التي ينبغي اضافتها في شهر رمضان المبارك .

٢ ــ ان تكون قراءته على نحو الختمة أي يبدأ من اول القرآن إلى آخره وليس قراءة سور متفرقة مهما كانت اهميتها ليمر على القرآن كله وينال كل بركاته وهو المعبر عنه في الحديث الشريف الآتي : ((الحال المرتحل))([٢٨٤]).

٣ ــ ان يصادف الختم يوم الجمعة وان يقرأ عند ختم القرآن الدعاء المختص به وهو موجود في الصحيفة السجادية.

٤ ــ عندما يختم القرآن لايقف عند نهايته بل يصله مباشرة بافتتاح ختمه جديدة ولو بان يبدأ بسورة الفاتحة وأول خمس آيات من سورة البقرة.

٥ ــ ان يكون على طهارة وفي مصلاه مستقبلاً القبلة.

٦ ــ ورد في تفسير قوله تعالى :} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ{ ([٢٨٥]).

ان من المرابطين من يثبت على مصلاه ينتظر حلول وقت الفريضة فلتحصيل فضل المرابطين يستغل المؤمن هذه الحالة وهي فترة انتظار وقت الصلاة لتلاوة القرآن ويكون الاجر اعظم لو كان ذلك في المسجد منتظرا صلاة الجماعة.

٧ ــ وورد استحباب النوم على طهارة وقراءة القرآن قبل ان يأوي المؤمن إلى فراشه وفي حديث انه : ((من احدث ولم يتوضأ فقد جفاني ومن توضأ ولم يصل ركعتين فقد جفاني ومن صلى ركعتين ولم يدعني فقد جفاني ومن دعاني ولم اجبه فقد جفوته ولست برب جاف))([٢٨٦]) واذا اضيف لها الاستحباب المؤكد لصلاة الليل واستحباب التخلي قبل النوم واستحباب السواك خرجنا من ضم المجموع بوُردٍ مهم وهو ان المؤمن قبل ان يأوي إلى فراشه يتخلى وينظف اسنانه ثم يتوضأ ويصلي صلاة الليل، اما كلها أو بعضها، ويؤد البعض الآخر إلى ما قبل طلوع الفجر ثم يقرأ مقدارا من القرآن الكريم ويدعو الله سبحانه له وللمؤمنين فانه سيجمع كل هذه المستحبات. أما الانسان الذي يسهر الليل على البرامج والافلام الفاسدة التي تتعب اعصابه وترهقه فيعيش في معاناة ونكد.

٨ ــ ان تكون تلاوته للقرآن خصوصا للمبتدئين في تفسير شبر الذي يتضمن اكثر من فائدة ففيه نسخة من المصحف الشريف وفيه تفسير اجمالي لمعاني القرآن وهو ما قلناه انه ضمن مناهج الدراسات الاولية للقرآن وفيه مقدمة في علوم القرآن وهو درس آخر وفيه ملحق بفهرس الالفاظ القرآنية بحيث ان أي آية تريد معرفة موضعها تستخرج من هذا الدليل وموضع أي كلمة منها، وفيه القراءات المتعددة للكلمة الواحدة ان وجدت في هامشه وفيه ترتيب نزول السور ففي عنوان كل سورة يقول انها نزلت بعد كذا سورة ،كل هذه الفوائد في هذا الكتاب الجليل.

٩ ــ ان يبدأ باهداء الختمة الاولى لرسول الله ((صلى الله عليه واله)) ثم الثانية لامير المؤمنين ((عليه السلام)) وهكذا لجميع المعصومين الاربعة عشر ((عليهم السلام)) فقد وردت فيه رواية شريفة وهم اكرم الخلق فسيردون الهدية بما يليق بكرمهم يوم القيامة.

١٠ ــ رفع الصوت بالقرآن عند التلاوة وان يكون حزينا وان يتدبر معانيه ولا يكن همّ احدكم نهاية السورة، كما في الحديث.

١١ ــ استحباب القراءة في المصحف حتى لو كان حافظا لما يقرأ ويستحب ان يكون لكل فرد من افراد العائلة نسخة من المصحف الشريف خاصة به يضع فيه علامة.

١٢ ــ الانصات إلى القرآن وتدبر ما يسمع في اية فرصة تسنح للاستماع.

اسأل الله تعالى ان يحيينا حياة القرآن وينيلنا شفاعته ويجعلنا ممن يهتدي بهداه ويستضىء بنور علمه إنه ولي النعم وهو اللطيف بعباده ومن لطفه بنا أن هدانا إلى دينه القويم وأتحفنا بكتابه الكريم ونبيه العظيم واهل بيته الميامين الغرر.

(الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا نهتدي لولا ان هدانا الله) .

محمد اليعقوبي

محرم ١٤٢٢

الأربعون حديثا في
فضل القرآن وآثاره وآداب تلاوته

وسأكتفي هنا بذكر نصوص الأحاديث مع جعل عنوان مناسب لمضمونها وتصنف الأحاديث بحسب المضامين اما شرحها وبيان ما فيها من نكات فيمكن ان يكون له محل آخر وسوف لا أتحدد بالعدد أربعين لان الأخبار التي حثت على حفظ أربعين حديثاً لا نفهم منها انها بشرط لا عن الزيادة فالزيادة خير إذن.

١ ـ ضرورة تعلمه

عن ابي عبد الله ((عليه السلام)) قال : ((ينبغي للمؤمن ان لا يموت حتى يتعلم القرآن أو ان يكون في تعليمه))([٢٨٧]).

وعن رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) قال : ((لايعذب الله قلباً وعى القرآن))([٢٨٨]).

وعنه ((صلى الله عليه وآله)) قال : ((خياركم من تعلم القرآن وعلمه))([٢٨٩]).

وعنه ((صلى الله عليه وآله)) قال : ((حملة القرآن في الدنيا عرفاء أهل الجنة يوم القيامة))([٢٩٠]).

وعنه ((صلى الله عليه وآله)) قال : ((القرآن غني لاغنى دونه ولا فقر بعده))([٢٩١]).

وعنه ((صلى الله عليه وآله)) قال : ((إذا قال المعلم للصبي : بسم الله الرحمن الرحيم فقال الصبي بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله براءة للصبي وبراءة لأبويه وبراءة للمعلم))([٢٩٢]).

وعن أبي عبد الله ((عليه السلام)) قال : ((الحافظ للقرآن العامل به مع السفرة الكرام البررة))([٢٩٣]).

٢ ـ تعلم القرآن اعظم نعمة

عن النبي ((صلى الله عليه وآله)) انه قال : ((من قرأ القرآن فظن أن أحدا أعطي افضل مما أعطي فقد حقر ما عظم الله، وعظم ما حقر الله))([٢٩٤]).

٣ ــ القرآن شافع مشفع وخصم مصدق

عن الرسول ((صلى الله عليه وآله)) انه قال في حديث : ((إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فانه شافع مشفع وماحل مصدق، ومن جعله امامه قاده إلى الجنة ، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان تحصيل ـــ إلى ان قال ـــ لاتحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه ،مصابيح الهدى ومنار الحكمة))([٢٩٥]).

٤ ـ صفة قارئي القرآن

عن أبي عبد الله ((عليه السلام)) انه قال : ((ينبغي لمن قرأ القرآن اذا مرّ بأية من القرآن فيها مسألة أو تخويف ان يسأل عند ذلك خير ما يرجو ويسأله العافية من النار ومن العذاب))([٢٩٦]).

وعن رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) : ((إني لاعجب كيف لا اشيب اذا قرأت القرآن))([٢٩٧])، ومن خطبة أمير المؤمنين ((عليه السلام)) في وصف المتقين قال : ((اما الليل فصافون اقدامهم تالين لاجزاء الكتاب يرتلونه ترتيلا، يحزنون به انفسهم ويستثيرون به تهيج احزانهم، بكاء على ذنوبهم، ووجع كلوم جراحهم، واذا مروا بآية فيها تخويف اصغوا اليها مسامع قلوبهم وأبصارهم فاقشعرت منها جلودهم ووجلت قلوبهم فظنوا ان صهيل جهنم وزفيرها وشهيقها في اصول آذانهم، واذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا اليها طمعاً وتطلعت انفسهم اليها شوقاً، وظنوا انها نصب اعينهم))([٢٩٨]).

٥ ـ وجوب اكرام حملة القرآن وحرمة الاستخفاف بهم

عن رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) قال : ((ان اهل القرآن في اعلى درجة من الآدميين ما خلا النبيين والمرسلين فلا تستضعفوا اهل القرآن حقوقهم، فان لهم من الله العزيز الجبار لمكاناً))([٢٩٩]).

٦ ـ ثواب من يصعب عليه تعلم القرآن وحفظه

عن الصادق ((عليه السلام)) قال : ((من شُدّد عليه القرآن كان له اجران ومن يسر عليه كان مع الاولين))([٣٠٠]).

وعنه ((عليه السلام)) قال : ((ان الذي يعلج القرآن ويحفظه بمشقة منه وقلة حفظ له اجران))([٣٠١]).

٧ ـ وجوب قراءة البسملة قبل سورة

عن الصادق ((عليه السلام)) : ((إذا امّ الرجل القوم جاء شيطان إلى الشيطان الذي هو قرين الإمام فيقول : هل ذكر الله يعني هل قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فان قال نعم هرب وان قال لا ركب عنق الإمام ودلى رجليه في صدره فلم يزل الشيطان امام القوم حتى يفرغوا من صلاتهم))([٣٠٢]).

٨ ـ استحباب قراءة القرآن عند زيارة القبور

في (من لا يحضره الفقيه) عن الامام الرضا ((عليه السلام)) : ((ما عبد عبد مؤمن زار قبر مؤمن فقرأة عنده انا انزلناه في ليلة القدر سبع مرا ت الا غفر الله له ولصاحب القبر))([٣٠٣]).

وفي رواية اخرى : ((امن من الفزع الاكبر)) وفي معناه رويات عديدة.

وفي اخرى استحباب اضافة سورة الفاتحة والمعوذتين والتوحيد وآية الكرسي كل منها ثلاث مرات، وورد في ثوابها : ((ان الله يبعث اليه ملكا يعبد الله عند قبره ويكتب له وللميت ثواب ما يعمل ذلك الملك فاذا بعثه الله من قبره لم يمر على هول الا صرفه الله عنه بذلك الملك الموكل حتى يدخله الله به الجنة)).([٣٠٤])

٩ ـ فضل تعلم القرآن في الشباب وآثاره

عن الصادق ((عليه السلام)) قال : ((من قرأ القرآن وهو شاب مؤمن اختلط القرآن بلحمه ودمه، وجعله الله من السفرة الكرام البررة، وكان القرآن عنه حجيزا يوم القيامة، يقول : يارب ان كل عامل قد اصاب اجر عمله غير عاملي، فبلغ به اكرم عطائك، قال : فيكسوه الله العزيز الجبار حلتين من حلل الجنة ويوضع على رأسه تاج الكرامة، ثم يقال له : هل ارضيناك فيه؟ فيقول القرآن : يارب قد كنت ارغب له فيما هو افضل من هذا، قال: فيعطى الأمن بيمينه والخلد بيساره ثم يدخل الجنة فيقال له اقرأ آية فاصعد درجة، ثم يقال له : هل بلغنا به وارضيناك؟ فيقول : نعم))([٣٠٥]).

١٠ ـ ضرورة تعليم الاولاد القرآن

عن الرسول الله ((صلى الله عليه وآله)) في حديث إلى ان قال : ((ويكسي ابواه ــ أي حامل القرآن ــ حلتين ان كانا مؤمنين ثم يقال لهما هذا لما علمتماه القرآن))([٣٠٦]) وفي حديث عن أمير المؤمنين ((عليه السلام)) قال : ((ان الله ليهم بعذاب اهل الارض جمعيا حتى لايحاشي منهم احد اذا عملوا بالمعاصي واجترحوا السيئات، فاذا نظر إلى الشيب ناقلي اقدامهم إلى الصلوات والولدان يتعلمون القرآن رحمهم فاخر ذلك عنهم))([٣٠٧]).

١١ ـ اقسام قراء القرآن وصفة القاريء الحق

عن ابي جعفر ((عليه السلام)) قال : ((قراء القرآن ثلاثة : رجل قرأ القرآن فاتخذه بضاعة واستدر به الملوك واستطال به على الناس، ورجل قرأ القرآن فحفظ حروفه وضيع حدوده([٣٠٨]) وأقامه إقامة القدح، فلا كثر الله هؤلاء من حملة القرآن ورجل قرأ القرآن فوضع دواء القرآن على داء قلبه فاسهر به ليله واظمأ به نهاره وقام به في مساجده وتجافى به عنه فراشه، فباولئك يدفع الله البلاء وباولئك يديل الله من الاعداء وباولئك ينزل الله الغيث من السماء، فوالله لهؤلاء في قراء القرآن اعز من الكبريت الاحمر))([٣٠٩]).

وعن رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) قال : ((يا حامل القرآن تواضع به يرفعك الله، ولا تعززبه فيذلك الله، ياحامل القرآن تزين به لله يزينك الله به، ولا تزين به للناس فيشينك الله به))([٣١٠]).

١٢ ـ فهم القرآن مرتبة قريبة من النبوة

عن رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) من حديث قال : ((من ختم القرآن فانما ادرجت النبوة بين جنبيه ولكنه لايوحى اليه))([٣١١]).

١٣ ـ الطريق الاكمل لقراءة القرآن ان تبدأ من اوله إلى آخره وليس بان تقرأ سورا متفرقة

عن الزهري قال : ((قلت لعلي بن الحسين ((عليهم السلام)) : أي الاعمال افضل قال : (الحال المرتحل) قلت وما الحال المرتحل، قال ((عليه السلام)) : فتح القرآن وختمه،كلما جاء باوله ارتحل في آخره))([٣١٢]) وفي النهاية سئل : أي الاعمال افضل فقال : الحال المرتحل، فقيل :

وما ذلك، قال : الخاتم المفتح هو الذي يختم القرآن بتلاوته ثم يفتتح التلاوة من اوله شبهه بالمسافر يبلغ بالمنزل فيحل فيه ثم يفتتح السير أي يبدأه وكذلك قراءة اهل مكة اذا ختموا القرآن بالتلاوة ابتدأوا وقرأوا الفاتحة وخمس آيات من أول سورة البقرة إلى قوله :} هُمُ الْمُفْلِحُونَ{ ويقفون ويسمون فاعل ذلك الحال المرتحل أي انه ختم القرآن وابتدأ باوله ولم يفصل بينهما بزمان.

وفي هذا المعنى حديث عن الامام الصادق ((عليه السلام)) : ((قيل يابن رسول الله أي الرجال خير قال ((عليه السلام)) : الحال المرتحل، قيل يابن رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) : وما الحال المرتحل؟ قال ((عليه السلام)) : الفاتح الخاتم الذي يقرأ القرآن ويختمه فله عند الله دعوة مستجابة))([٣١٣]).

١٤ ـ الوصية بكثرة قراءة القرآن

وفي وصية النبي ((صلى الله عليه وآله)) لعلي ((عليه السلام)) قال : ((وعليك بتلاوة القرآن على كل حال))([٣١٤]).

١٥ ـ ثواب قراءة القرآن

عن الصادق ((عليه السلام)) في حديث قال : ((عليكم بتلاوة القرآن فان درجات الجنة على عدد آيات القرآن، فاذا كان يوم القيامة يقال لقاريء القرآن : أقرأ وأرق فكلما قرأ آية يرقي درجة))([٣١٥]).

وعن ابي جعفر ((عليه السلام)) قال : قال رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) : ((من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ خمسين آية كتب من الذاكرين، ومن قرأ مئة آية كتب من القانتين، ومن قرأ مئتي آية من الخاشعين، ومن قرأ ثلثمائة آية كتب من الفائزين، ومن قرأ خمسمائة آية كتب من المجتهدين، ومن قرأ الف آية كتب له قنطار والقنطار خمسة عشر الف (خمسون الف) مثقال من ذهب، المثقال اربعة وعشرون قيراطاً اصغرها مثل جبل احد واكبرها ما بين السماء والارض))([٣١٦]).

١٦ ـ ضرورة المحافظة على ما تعلم من القرآن ولا يتركه بحيث يؤدي الى نسيانه

عن يعقوب الاحمر قال : ((قلت لابي عبد الله ((عليه السلام)) ان عليّ ديناً كثيراً وقد دخلني ما كاد القرآن يتفلت مني، فقال ابو عبد الله ((عليه السلام)) : القرآن القرآن ان الآية من القرآن والسورة لتجيء يوم القيامة حتى تصعد الف درجة ــ يعني في الجنة ــ فتقول : لو حفظتني لبلغت بك ههنا))([٣١٧]).

اقول : مرّ عليك ان الحفظ بمعنى مراعاة حدوده ومعانيه والالتزام بأوامره ونواهيه.

١٧ ـ استحباب التلاوة على وضوء

عن محمد بن الفضيل عن ابى الحسن ((عليه السلام)) قال : ((سألته أقرأ المصحف ثم يأخذني البول فأقوم فابول واستنجى وأغسل يدي واعود إلى المصحف فأقرأ فيه؟ قال : لا حتى تتوضأ للصلاة))([٣١٨]).

وعنهم ((عليه السلام)) : ((لقاريء القرآن بكل حرف يقرأ في الصلاة قائما مئة حسنة وقاعداً خمسون حسنة ومتطهراً في غير صلاة خمسة وعشرون حسنة وغير متطهر عشر حسنات، اما اني لا اقول : المر بل بالالف عشر وباللام عشر وبالميم عشر وبالراء عشر))([٣١٩]).

١٨ ـ استحباب الاستعاذة عند القراءة

عن الحلبي عن ابي عبد الله ((عليه السلام)) قال : ((سألته عن التعوذ من الشيطان عند كل سورة يفتتحها، قال : نعم، فتعوذ بالله من الشيطان الرجيم))([٣٢٠]).

وعن امير المؤمنين ((عليه السلام)) : ((والاستعاذة هي ما قد امر الله به عباده عند قراءتهم القرآن بقوله : }فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ{ ([٣٢١]) ومن تأدب بأدب الله اداه إلى الفلاح الدائم))([٣٢٢]).

١٩ ـ القرآن عهد الله فكم ينبغي للمسلم ان يقرأ منه يومياً

عن ابي عبد الله ((عليه السلام)) قال : ((القرآن عهد الله الي خلقه فقد ينبغي للمرء المسلم ان ينظر في عهده وان يقرأ منه في كل يوم خمسين آية))([٣٢٣]).

اقول : وبحساب بسيط تستنتج ان اقل ما ينبغي للمؤمن ان يختم القران في السنة ثلاث مرات لأن عدد ايات القران اكثر من ستة الاف فيختمه على هذا المعدل في (١٢٠) يوماً أي اربعة اشهر هذا بغض النظر عن مضاعفة الجهد في شهر رمضان .

٢٠ ـ آيات القرآن خزائن فاستفد منها جميعاً

عن علي بن الحسين ((عليه السلام)) قال : ((آيات القرآن خزائن فكلما فتحت خزانة ينبغي لك ان تنظر ما فيها))([٣٢٤]).

٢١ ـ استحباب قراءة القرآن في البيوت

عن ابي عبد الله ((عليه السلام)) قال : قال امير المؤمنين : ((البيت الذي يقرأ فيه القرآن ويذكر الله عز وجل فيه تكثر بركته وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين، ويضيء لاهل السماء كما تضيء الكواكب لاهل الارض، وان البيت الذي لايقرأ فيه القرآن ولا يذكر الله عز وجل فيه تقل بركته وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين))([٣٢٥]).

٢٢ ـ الكسب وطلب الرزق لا يمنع من المواظبة على قراءة القرآن

عن ابي عبد الله ((عليه السلام)) قال : ((مايمنع التاجر منكم المشغول في سوقه اذا رجع إلى منزله ان لاينام حتى يقرأ سورة من القرآن فيكتب له مكان كل آية يقرأها عشر حسنات وتمحي عنه عشر سيئات))([٣٢٦]).

٢٣ ـ استحباب القراءة في المصحف حتى لو كان حافظاً لما يقرأ

عن ابي عبد الله ((عليه السلام)) قال : ((من قرأ القرآن في المصحف متع ببصره وخفف عن والديه وان كانا كافرين))([٣٢٧]).

وعن النبي ((صلى الله عليه وآله)) قال : ((ليس شيء اشد على الشيطان من القراءة في المصحف نظرا))([٣٢٨]).

وفي حديث آخر : ((النظر إلى المصحف من غير قراءة عبادة))([٣٢٩]).

أقول : وهذه اقل وظيفة يقوم بها من لا يحسن القراءة وإلا فعليه الاستماع.

وعن اسحاق بن عمار عن ابي عبد الله ((عليه السلام)) قال : ((قلت له : جعلت فداك اني احفظ القرآن على ظهر قلبي فاقرأه على ظهر قلبي افضل أو انظر في المصحف،قال فقال لي : بل اقرأه وانظر في المصحف فهو افضل اما علمت ان النظر في المصحف عبادة))([٣٣٠]).

٢٤ ـ استحباب اقتناء نسخة من المصحف في البيت

عن الصادق ((عليه السلام)) قال : ((انه ليعجبني ان يكون في البيت مصحف يطرد الله عز وجل به الشياطين))([٣٣١]).

٢٥ ـ استحباب ترتيله وكراهة العجلة فيه

عن عبد الله بن سليمان قال : سألت ابا عبدالله ((عليه السلام)) عن قول الله عز وجل : }وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً{ ([٣٣٢]) قال : ((قال امير المؤمنين ((عليه السلام)) : بينه تبياناً ولا تهذه هذ الشعر ولا تنثره نثر الرمل ولكن اقرعوا به قلوبكم القاسية، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة))([٣٣٣]).

وفي تفسير قوله تعالى : }الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ{([٣٣٤]) روي عن الصادق ((عليه السلام)) انه قال : ((حق تلاوته هو الوقوف عند ذكر الجنة والنار، يسأل في الاولى ويستعيذ من الاخرى))([٣٣٥]).

وفي حديث عن الامام الصادق ((عليه السلام)) : ((إن القرآن لايقرأ هذرمة ولكن يرتل ترتيلا واذا مررت بآية فيها ذكر الجنة فقف عندها وسل الله الجنة واذا مررت بآية فيها ذكر النار فقف عندها وتعوذ بالله من النار))([٣٣٦]).

٢٦ ـ استحباب قراءته بالحزن كأنه يخاطب انسانا وحرمة ما يفعل الصوفية من الغشية والصعقة

عن الصادق ((عليه السلام)) قال : ((ان القرآن نزل بالحزن فاقرأه بالحزن))([٣٣٧]).

وعن حفص قال : (ما رأيت احداً اشد خوفاً على نفسه من موس بن جعفر ((عليه السلام)) ولا ارجى للناس منه وكانت قراءته حزنا فاذا قرأ كأنما يخاطب انساناً)([٣٣٨]).

وعن جابر عن ابي جعفر ((عليه السلام)) قال : ((قلت ان قوماً اذا ذكروا شيئاً من القرآن أو حدثوا به صعق احدهم حتى يرى ان احدهم لو قطعت يداه أو رجلاه لم يشعر بذلك، فقال : سبحان الله ذلك من الشيطان، ما بهذا نعتوا انما هو اللين والرقة والدمعة والوجل))([٣٣٩]).

٢٧ ـ استحباب رفع الصوت بالقرآن

عن معاوية بن عمار قال : ((قلت لابي عبد الله ((عليه السلام)) : الرجل لايرى انه صنع شيئا في الدعاء وفي القراءة حتى يرفع صوته، فقال : لابأس، ان علي بن الحسين ((عليه السلام)) كان احسن الناس صوتاً بالقرآن وكان يرفع صوته حتى يسمعه أهل الدار وان ابا جعفر ((عليه السلام)) كان احسن الناس صوتاً بالقرآن، وكان اذا قام من الليل وقرأ رفع صوته فيمر به مار الطريق من الساقين وغيرهم فيقومون فيستمعون إلى قرائته))([٣٤٠]).

٢٨ ـ حرمة التغني بالقرآن

عن ابي عبد الله ((عليه السلام)) قال : ((قال رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) : اقرأوا القرآن بالحان العرب واصواتها واياكم ولحون اهل الفسق واهل الكبائر فانه سيجيء من بعدي

اقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء والنوح والرهبانية لا يجوز تراقيهم قلوبهم مقلوبة وقلوب من يعجبه شأنهم))([٣٤١]).

٢٩ ـ وجوب الانصات لقراءة القرآن اخلاقياً واستحبابه شرعياً الا في الصلاة

عن عبد الله بن ابي يعفور عن ابي عبد الله ((عليه السلام)) قال : ((قلت له الرجل يقرأ القرآن ايجب على من سمعه الانصات له والاستماع؟ قال : نعم اذا قرأ عندك القرآن وجب عليك الانصات والاستماع))([٣٤٢]).

وفي حديث زرارة عن ابي جعفر ((عليه السلام)) قال : ((واذا قرأ القرآن في الفريضة خلف الامام فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون))([٣٤٣]).

٣٠ ـ استحباب ختم القرآن في كل شهر مرة

عن محمد بن عبد الله قال : قلت لابي عبد الله ((عليه السلام)) : اقرأ القرآن في ليلة؟ فقال : ((لايعجبني ان تقرأه في اقل من شهر))([٣٤٤]).

٣١ ـ استحباب اهداء ثواب القراءة إلى المعصومين ((عليهم السلام)) لكي يضاعف الاجر

عن علي بن المغيرة عن ابي الحسن ((عليه السلام)) : ((قلت فاذا كان في يوم الفطر جعلتُ لرسول الله ((صلى الله عليه وآله)) ختمه([٣٤٥]) ولعلي ((عليه السلام)) اخرى ولفاطمة ((عليها السلام)) اخرى ثم الأئمة ((عليهم السلام)) حتى انتهيت اليك فصيرت لك واحدة منذ صرت في الحال، فاي شيء لي بذلك؟ قال : لك بذلك ان تكون معهم يوم القيامة ، قلت : الله اكبر فلي بذلك؟ قال : نعم ثلاث مرات))([٣٤٦]).

٣٢ ـ استحباب البكاء أو التباكي عند سماع القرآن

عن الصادق ((عليه السلام)) قال: ((ان رسول الله اتى شبابا من الانصار فقال: اني اريد اقرأ عليكم فمن بكى فله الجنة فقرأ آخر سورة الزمر }وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً{([٣٤٧]) إلى آخر السورة فبكى القوم جميعاً الا شاباً فقال : يارسول الله قد تباكيت فما قطرت عيني فقال

: اني معيد عليكم فمن تباكى فله الجنة فاعاد عليهم فبكى القوم وتباكى الفتى فدخلوا الجنة جميعاً))([٣٤٨]).

٣٣ ـ العلم كله في القرآن

روي عن علي ((عليه السلام)) انه قيل له : ((هل عندكم شيء من الوحي؟ قال : لا، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة الا ان يعطي الله عبدا فهما في كتابه))([٣٤٩]).

وعن ابراهيم بن العباس قال : ((ما رأيت الرضا ((عليه السلام)) سئل عن شيء قط الا علمه ولا رأيت اعلم منه بما كان في الزمان الاول إلى وقته وعصره وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيب فيه، وكان كلامه كله وجوابه وتمثله انتزاعات من القرآن))([٣٥٠]).

وفي نهج البلاغة : ((ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن اخبركم عنه : الا انه فيه علم ما يأتي والحديث عن الماضي ودواء دائكم ونظم بينكم))([٣٥١]).

٣٤ ـ القرآن شفاء من كل داء

عن ابي عبد الله ((عليه السلام)) قال : ((لو قرأت الحمد على ميت سبعين مرة ثم ردت فيه الروح ما كان ذلك عجبا))([٣٥٢]).

٣٥ ـ القرآن فيه جلاء القلوب

عن رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) قال : ((ان هذه القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد وان جلاءها قراءة القرآن))([٣٥٣]).

٣٦ ـ الاكثار من قراءته في شهر رمضان

عن ابي جعفر ((عليه السلام)) قال : ((لكل شيء ربيع وربيع القرآن شهر رمضان))([٣٥٤]).

وعن علي بن حمزة قال : ((دخلت علي ابي عبد الله ((عليه السلام)) فقال له ابو بصير : جعلت فداك اقرأ القرآن في شهر رمضان في ليلة ؟ فقال : لا ،ففي ليلتين؟ فقال : لا، فقال : ففي ثلاث؟ فقال : ها واشار بيده ثم قال : يا ابا محمد ان لرمضان حقا وحرمة لايشبهه شيء من الشهور))([٣٥٥]).

وفي خطبة النبي ((صلى الله عليه وآله)) في آخر جمعة من شعبان قال : ((ومن تلا فيه ــ أي شهر رمضان ــ آية من القرآن كان له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور))([٣٥٦]).

٣٧ ـ تلاوة القرآن حق تلاوته

في تفسير قوله تعالى : }الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ{([٣٥٧]) قال الامام الصادق ((عليه السلام)) : ((يرتلون آياته ويتفقهون به ويعملون باحكامه ويرجون وعده، ويخافون وعيده ويعتبرون بقصصه، ويأتمرون باوامره وينتهون بنواهيه، ما هو والله حفظ آياته ودرس حروفه وتلاوة سوره ودرس اعشاره واخماسه، حفظواحروفه واضاعوا حدوده وانما هو تدبر آياته والعمل باحكامه قال تعالى :} كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ{ ([٣٥٨]))([٣٥٩]).

٣٨ ـ القرآن لا يشبع منه العلماء

عن رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) قال من حديث في وصف القرآن : ((هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا يشبع منه العلماء ولا تلتبس منه الالسن ولا يخلق من الرد ولا تنقضي عجائبه من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به اجر ومن دعى اليه هدي الى صراط مستقيم))([٣٦٠]).

٣٩ ـ القرآن في نهج البلاغة

((وتعلموا القرآن فانه احسن الحديث وتفقهوا فيه فانه ربيع القلوب واستشفوا بنوره فانه شفاء الصدور واحسنوا تلاوته فانه انفع القصص وان العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله بل الحجه عليه اعظم والحسرة له الزم وهو عند الله الوم))([٣٦١]).

٤٠ ـ دعاء الامام السجاد ((عليه السلام)) عند ختم القرآن

اللهم انك اعنتني على ختم كتابك الذي انزلته نورا"وجعلته مهيمنا" على كل كتاب انزلته وفضلته على كل حديث قصصته وفرقانا فرقت بين حلالك وحرامك وقرانا اعربت به عن شرايع احكامك وكتابا فصلته لعبادك تفصيلا ووحيا انزلته على نبيك محمد صلواتك عليه وآله تنزيلا وجعلته نورا نهتدي من ظلم الضلالة والجهالة باتباعه وشفاء لمن انصت بفهم التصديق الى استماعه وميزان قسط لا يحيف عن الحق لسانه، ونور هدى لا يطفأ عن الشاهدين برهانه وعلم نجاة لا يضل من ام قصد سنته، ولا تنال ايدي الهلكات من تعلق بعروة عصمته، اللهم فاذا افدتنا المعونة على تلاوته، وسهلت حواسي السنتنا بحسن عبارته، فاجعلنا ممن يرعاه حق رعايته، ويدين لك باعتقاد التسليم لمحكم آياته، ويفزع إلى الاقرار بمتشابهه وموضحات بيناته، اللهم انك انزلته على نبيك محمد صلى الله عليه وآله مجملاً، والهمته علم عجائبه مكملا وورثتنا علمه مفسراً وفضلتنا على من جهل علمه، وقويتنا عليه لترفعنا فوق من لم يطق حمله، اللهم فكما جعلت قلوبنا له حملة وعرفتنا برحمتك شرفه وفضله، فصل على محمد الخطيب به، وعلى آله الخزان له، واجعلنا ممن يعترف بانه من عندك، حتى لايعارضنا الشك في تصديقه، ولا يختلجنا الزيغ عن قصد طريقه، اللهم صل على محمد وآله واجعلنا ممن يعتصم بحبله، ويأوي من المتشابهات إلى حرز معقله، ويسكن في ظل جناحه، ويهتدي بضوء صباحه، ويقتدي بتبلج اسفاره، ويستصبح بمصباحه ولا يلتمس الهدى في غيره، اللهم وكما نصبت به محمداعلما للدلالة عليك وانهجت بآله سبل الرضا اليك، فصل على محمد وآله، واجعل القرآن وسيلة لنا إلى اشرف منازل الكرامة، وسلما نعرج فيه إلى محل السلامة وسببا نجزي به النجاة في عرصة القيامة، وذريعة نقدم بها على نعيم دار المقامة، اللهم صل على محمد وآله، واحطط بالقرآن عنا ثقل الاوزار، وهب لنا حسن شمائل الابرار، واقف بنا آثار الذين قاموا لك به آناء الليل واطراف النهار، حتى تطهرنا من كل دنس بتطهيره، وتقفوا بنا آثار الذين استضاؤوا بنوره، ولم يلههم الامل عن العمل فيقطعهم بخدع غروره، اللهم صل على محمد وآله، واجعل

القرآن لنا في ظلم الليالي مونساً، ومن نزعات الشيطان وخطرات الوساوس حارساً، ولا قدامنا عن نقلها إلى المعاصي حابساً، ولألسنتنا عن الخوض في الباطل من غير ما آفة مخرساً، ولجوارحنا عن اقتراف الآثام زاجراً، ولما طوت الغفلة عنا من تصفح الاعتبار ناشراً، حتى توصل إلى قلوبنا فهم عجائبه، وزواجر أمثاله التي ضعفت الجبال الرواسي على صلابتها عن احتماله، اللهم صل على محمد وآله وأدم بالقرآن صلاح ظاهرنا، واحجب به خطرات الوساوس عن صحة ضمائرنا واغسل به درن قلوبنا، وعلائق اوزارنا، واجمع به منتشر امورنا وارو به في موقف العرض عليك ضمأ هواجرنا، واكسنا به حلل الامان يوم الفزع الاكبر في نشورنا، اللهم صل على محمد وآله، واجبر بالقرآن خلتنا من عدم الاملاق، وسق به الينا رغد العيش خصب سعة الارزاق وجنبنا به الضرائب المذمومة، ومداني الاخلاق، واعصمنا به من هوة الكفر ودواعي النفاق، حتى يكون لنا في القيامة إلى رضوانك وجنانك قآئداً، ولنا في الدنيا عن سخطك وتعدي حدودك ذآئداً، ولما عندك بتحليل حلاله وتحريم حرامه شاهداً، اللهم صل على محمد وآله، وهون بالقرآن عند الموت على انفسنا كرب السياق وجهد الانين، وترادف الحشارج، اذا بلغت النفوس التراقي} وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ{[[٣٦٢]]، وتجلى ملك الموت لقبضها من حجب الغيوب ورماها عن قوس المنايا بأسهم وحشة الفراق، وداف لها من دعاف مرارة الموت كأساً مسمومة المذاق، ودنا منا إلى الآخرة رحيل وانطلاق، وصارت الاعمال قلائد في الاعناق، وكانت القبور هي المأوى إلى ميقات يوم التلاق، اللهم صل على محمد وآله، وبارك لنا في حلول دار البلى، وطول المقامة بين اطباق الثرى، واجعل القبور بعد فراق الدنيا خير منازلنا، وافسح لنا برحمتك في ضيق ملاحدنا، ولا تفضحنا في حاضر القيامة بموبقات آثامنا، وارحم بالقرآن في موقف العرض عليك ذل مقامنا ، وثبت به عند اضطراب جسر جهنم يوم المجاز عليها زلل اقدامنا، ونجنا به من كل كرب يوم القيامة، وشدآئد اهوال يوم الطامة وبيض وجوهنا يوم تسود وجوه الظلمة في يوم الحسرة والندامة، واجعل لنا في صدور المؤمنين وداً، ولا تجعل الحياة علينا نكداً، اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، كما بلغ رسالتك، وصدع بامرك ونصح لعبادك اللهم اجعل نبينا صلواتك عليه وعلى آله يوم القيامة اقرب النبيين منك مجلساً، وامكنهم منك شفاعة، واجلهم عندك قدراً، واوجههم عندك جاهاً، اللهم صل على محمد وآل محمد، وشرف بنيانه، وعظم برهانه، وثقل ميزانه، وتقبل شفاعته وقرب وسيلته، وبيض وجهه واتم نوره وارفع درجته، واحينا على سنته وتوفنا على ملته، وخذ بنا منهاجه، واسلك

بنا سبيله، واجعلنا من أهل طاعته، واحشرنا في زمرته، وأوردنا حوضه، واسقنا بكأسه، وصل اللهم على محمد وآله صلاة تبلغه بها افضل ما يأمل من خيرك وفضلك وكرامتك انك ذو رحمة واسعة وفضل كريم، اللهم اجزه بما بلغ من رسالاتك وادي من آياتك، ونصح لعبادتك، وجاهد في سبيلك، أفضل ما جزيت أحداً من ملآئكتك المقربين، وانبيآئك المرسلين المصطفين، والسلام عليه وعلى آله الطاهرين ورحمة الله وبركاته([٣٦٣]).

([١]) وسائل الشيعة : ٤ / ٤٨٤ . ومصادر اخرى كثيرة.

([٢]) بحار الأنوار ٢ / ٤١. ومصادر اخرى كثيرة.

([٣]) سورة طه : ٢٥ ــ ٢٨.

([٤]) الكافي : كتاب فضل القرآن، باب قراءة القرآن في المصحف، ح٣. الخصال : ١ / ١٤٢ أبواب الثلاثة.

([٥]) وسائل الشيعة : ٣ / ٤٨٤.

([٦]) راجع في مصادره من كتب العامة كتاب المراجعات للسيد شرف الدين الموسوي .

([٧]) سورة الفرقان : ٣٠ .

([٨]) سورة المائدة : ٦٨.

([٩]) استقرأت عدداً من العينات العشوائية وكانوا من الطلبة المتقدّمين للقبول في الحوزة الشريفة لاستبيان علاقتهم بالقرآن والمفروض انهم يمثلون درجة من الوعي والايمان الذي دفعهم لاختيار هذا المسلك فوجدت ان بعضهم لم يختم القرآن ولا مرة وآخر ــ وهو متصدي للمنبر ــ ختمه مرتين في حياته والكثير منهم يقرآ سوراً متفرقة في المناسبات والمواسم الدينية هذا على صعيد تلاوته اما فهمه واستيعاب معانه والتأمل في مفاهيمه ومضامينه فالجهل هنا مطبق.

([١٠]) معاني الأخبار : الشيخ الصدوق، ص٢٢٨.

([١١]) سورة آل عمران : ١٠٣.

([١٢]) بحار الأنوار : ٩٢ / ١٠٢.

([١٣]) سورة القصص : ٦٨.

([١٤]) نهج البلاغة : الخطبة ١٢٥.

([١٥]) مستدرك الوسائل : ٤ / ٢٥٠.

([١٦]) الخصال : ص١٤٢.

([١٧]) ارشاد القلوب : ص٧٩.

([١٨]) سورة القصص : ٦٨.

([١٩]) سورة المائدة : ٦٧.

([٢٠]) سورة الشورى : ٢٣.

([٢١]) سورة الفرقان : ٥٧.

([٢٢]) سورة الأنعام : ١٥٣.

([٢٣]) الميزان في تفسير القرآن : ٧ / ٣٨٥.

([٢٤]) سورة النحل : ٨٩ .

([٢٥]) سورة الأنعام : ٣٨.

([٢٦]) سورة الصافات : ١٥٤.

([٢٧]) الميزان في تفسير القرآن : ٣ / ١٦٤.

([٢٨]) الميزان في تفسير القرآن : ٥ / ٢٧٤ ــ ٢٧٥.

([٢٩]) بحار الأنوار : ٢ / ٢٤٥.

([٣٠]) سورة آل عمران : ٧.

([٣١]) المصدر السابق : ١٠٣.

([٣٢]) كشف الغمة : ٢ / ١١٠.

([٣٣]) سورة النساء : ٥٩ .

([٣٤]) وقد أكدت على هذه النقطة لانخداع كثير من السذج بهذه الدعوى وراحوا يصدقونهم بعدم الإيماني بشيء الا اذا وجد دليل عليه من القرآن وإسقاط الاستدلال بالسنة من الحساب.

([٣٥]) بحار الأنوار : ٤٢ / ٢٥٦.

([٣٦]) الخصال : ابواب الاربعين، حديث ١٩.

([٣٧]) الكافي : ٢ / ٥٩٩ .

([٣٨]) نهج البلاغة، شرح محمد عبده : ١ / ٣٤٧ . من خطبة أولها : انتفعوا ببيان الله واتعظوا بمواعظ الله .

([٣٩]) الكافي : ٢ / ٦٠٢.

([٤٠]) سورة المزمل : ٤ .

([٤١]) المصدر السابق : آية ٥ ــ ٦.

([٤٢]) سورة الرحمن : ١٣.

([٤٣]) سورة القيامة : ٤٠.

([٤٤]) سورة الزمر : ٧١.

([٤٥]) المصدر السابق : آية ٧٣.

([٤٦]) سورة البقرة : ١٢١.

([٤٧]) سورة الأحزاب : ٢١.

([٤٨]) سورة النحل : ١٨.

([٤٩]) الكافي : ٢ / ٦٠٩.

([٥٠]) الميزان في تفسير القرآن : ٢٠ / ٢٦٢.

([٥١]) المصدر السابق : ٣ / ٧١.

([٥٢]) سورة الفرقان : ٣٠.

([٥٣]) وسائل الشيعة : ٤ / ٨٣٣ .

([٥٤]) الخصال : ٢ / ٥٤٢.

([٥٥]) سورة آل عمران : ١٣٨.

([٥٦]) سورة النساء : ١٠٥.

([٥٧]) المصدر السابق : آية ١٧٤ ــ ١٧٥.

([٥٨]) سورة المائدة : ١٥ ــ ١٦.

([٥٩]) المصدر السابق : آية ٦٦.

([٦٠]) المصدر السابق : آية ٦٨.

([٦١]) سورة الأنعام : ٣٨.

([٦٢]) المصدر السابق : آية ٩٢.

([٦٣]) سورة الأعراف : ٢٠٤.

([٦٤]) سورة يونس : ٥٧.

([٦٥]) سورة الاسراء : ٩.

([٦٦]) سورة الزمر : ٢٣.

([٦٧]) سورة فصلت : ٤١ ــ ٤٢.

([٦٨]) سورة الشورى : ١٧.

([٦٩]) سورة الزخرف : ٤.

([٧٠]) المصدر السابق : آية ٣٦.

([٧١]) المصدر السابق : آية ٤٣ ــ ٤٤.

([٧٢]) سورة الجاثية : ٢٠.

([٧٣]) سورة محمد : ٢٤.

([٧٤]) سورة ق : ١.

([٧٥]) سورة القمر : ٤٠.

([٧٦]) سورة الواقعة : ٧٧ ــ ٧٩.

([٧٧]) سورة الحديد : ١٦.

([٧٨]) سورة الحشر : ٢١.

([٧٩]) سورة المزمل : ٤ ــ ٥ .

([٨٠]) سورة البروج : ٢١ ــ ٢٢.

([٨١]) سورة الطارق : ١٣ ــ ١٤.

([٨٢]) سورة الكهف : ١ ــ ٢.

([٨٣]) سورة النحل : ٨٩ .

([٨٤]) سورة طه : ١٢٤.

([٨٥]) سورة الرعد : ١٢٤.

([٨٦]) سورة الحشر : ٢١.

([٨٧]) سورة الحجر : ٩.

([٨٨]) سورة الواقعة : ٧٧.

([٨٩]) سورة الكهف : ١.

([٩٠]) سورة طه : ١٢٤.

([٩١]) سورة الأنعام : ٧٦ ــ ٧٩.

([٩٢]) سورة النور : ٣٩.

([٩٣]) سورة البقرة : ٩٦.

([٩٤]) سورة المائدة : ١٥ ــ ١٦.

([٩٥]) سورة الفاتحة : ٦.

([٩٦]) سورة الرعد : ٢٨.

([٩٧]) سورة الروم : ٢١.

([٩٨]) سورة آل عمران : ١٠٣.

([٩٩]) سورة الفتح : ٢٩.

([١٠٠]) سورة الحشر : ٩.

([١٠١]) المصدر السابق : ٢١.

([١٠٢]) سورة الأعراف : ١ ــ ٢.

([١٠٣]) سورة الاسراء : ٧٩.

([١٠٤]) الميزان في تفسير القرآن : ١٠ / ٨٠ ــ ٨١ .

([١٠٥]) وانت ترى ذلك في السور المكية التي نزلت أولا كالمدثر والمزمل فانها ذات ايقاعات سريعة تستعمل حروفا قوية فيكون تأثيرها بما يشبه الصعقة الكهربائية التي تستعمل لايقاظ الغافل كما ان مضامينها يتركز على التذكير بالاخرة والموت وأهوال القيامة وعاقبة اللمكذبين وبيان سنن الله تعالى في الأمم ونحوها من الصعقات.

([١٠٦]) الميزان في تفسير القرآن : ١٠ / ٨١ .

([١٠٧]) سورة العنكبوت : ٤١.

([١٠٨]) من لا يحضره الفقيه : ٤ / ٤١٠.

([١٠٩]) سورة طه : ٦٦.

([١١٠]) سورة النحل : ٢٦ ــ ٢٧.

([١١١]) سورة البقرة : ٢١٤.

([١١٢]) سورة العنكبوت : ١ ــ ٣.

([١١٣]) سورة الطور : ٤٨.

([١١٤]) سورة التوبة : ١٢٠.

([١١٥]) سورة الاحقاف : ٩.

([١١٦]) سورة الحديد : ٢٦.

([١١٧]) سورة المائدة : ١٠٥.

([١١٨]) سورة الإسراء : ٧٠.

([١١٩]) سورة القمر : ٤٩ .

([١٢٠]) سورة الحجر : ٢١.

([١٢١]) سورة الانبياء : ٤٧.

([١٢٢]) سورة النساء : ٢٦.

([١٢٣]) سورة الأنعام : ٣٨.

([١٢٤]) سورة فاطر : ٤٣.

([١٢٥]) سورة آل عمران : ١٩١.

([١٢٦]) سورة الذاريات : ٥٦.

([١٢٧]) سورة الأنبياء : ١٧.

([١٢٨]) سورة فصلت : ٣٠ ــ ٣٣.

([١٢٩]) سورة الرعد : ٢٨.

([١٣٠]) الخصال : ابواب الاثنين ، حديث ١٢.

([١٣١]) وصايا ونصائح إلى الخطباء وطلبة الحوزة الشريفة.

([١٣٢]) وسائل الشيعة : ١٨ / ١٩.

([١٣٣]) سورة المائدة : ٥٠.

([١٣٤]) سورة الأحزاب : ٣٣.

([١٣٥]) سورة الأعراف : ١٦ ــ ١٧.

([١٣٦]) المصدر السابق : آية ٨٦ .

([١٣٧]) لذا ورد في الخبر انه ((عليه السلام)) يأتي باسلام جديد وقرآن جديد وهي لا تعني دلالتها المطابقية لانه ((عليه السلام)) لا يخرج عن دائة اسلام وقرآن جده ((صلى الله عليه وآله)) وانما يراد به انه ينفض الغبار عن القرآن ويزيل عنه ركام السنين ويعيده إلى الحياة من جديد.

([١٣٨]) سورة التوبة : ٣١.

([١٣٩]) وهذا المصطلح القرآني المهم (العبادة) يحتاج إلى إشباع لعدم وضوحه في اذهان المجتمع فيظنون ان العبادة هي الصلاة أو السجود وليست هي الطاعة لذا لا يجدون قدحا في دينهم ان يصلوا ويصوموا الله لكن معاملاتهم وسلوكياتهم في الحياة تكون بغير ما انزل الله وهو معنى خطير يجب ازالة الشبهة عنه لذا ورد عن الإمام الجواد ((عليه السلام)) قوله : ((من اصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان هذا الناطق عن الله فقد عبد الله، وإن كان الناطق ينطق عن لسان ابليس . . .)). تحف العقول : ص٣٣٦.

([١٤٠]) سورة العلق : ١٩.

([١٤١]) سورة الزمر : ٣.

([١٤٢]) سورة آل عمران : ٦٤.

([١٤٣]) سورة الأحزاب : ٦٧.

([١٤٤]) سورة هود : ٩٧.

([١٤٥]) سورة مريم : ٥٩.

([١٤٦]) سورة البقرة : ١٧٠.

([١٤٧]) سورة الحج : ٣ ــ ٤.

([١٤٨]) سورة الفتح : ٢٦.

([١٤٩]) سورة القصص : ٥٠.

([١٥٠]) سورة البقرة : ١٦٥ ــ ١٦٧.

([١٥١]) سورة العنكبوت : ٤١.

([١٥٢]) سورة النور : ٣٩.

([١٥٣]) سورة المائدة : ٥٠.

([١٥٤]) الرسائل العشرة : الشيخ الطوسي، ص٣١٧.

([١٥٥]) سورة غافر : ٢٩.

([١٥٦]) سورة آل عمران : ١٥٤.

([١٥٧]) كامل الزيارات : ص٢٠١.

([١٥٨]) سورة الأنبياء : ٢٨.

([١٥٩]) بحار الأنوار : ٧٦ / ١٣٦.

([١٦٠]) سورة الزلزلة : ٧ ــ ٨ .

([١٦١]) سورة الأحزاب : ٣٣.

([١٦٢]) سورة النساء : ١.

([١٦٣]) وسائل الشيعة : ١٤ / ٥١.

([١٦٤]) سورة الزمر : ٦٥.

([١٦٥]) سورة الحاقة : ٤٤ ــ ٤٧.

([١٦٦]) بحار الأنوار : ٢٢ / ٤٦٧.

([١٦٧]) سورة الحجرات : ١٣.

([١٦٨]) سورة يونس : ٥٨.

([١٦٩]) سورة التكاثر : ١.

([١٧٠]) سورة سبأ : ٣٥.

([١٧١]) سورة آل عمران : ١٤ ــ ١٥.

([١٧٢]) سورة سبأ : ٣٧.

([١٧٣]) سورة العنكبوت : ٢٩.

([١٧٤]) سورة الأعراف : ٨٥ .

([١٧٥]) سورة المطففين : ١، ٣

([١٧٦]) سورة الأعراف : ٨٢ .

([١٧٧]) سورة آل عمران : ١٥٤.

([١٧٨]) وسائل الشيعة : ١١ / ٣٩٧ .

([١٧٩]) سورة المائدة : ٦٢ ــ ٦٣.

([١٨٠]) المصدر السابق : آية ٧٩ ــ ٨٠ .

([١٨١]) وسائل الشيعة : ١١ / ٣٩٥ .

([١٨٢]) سورة آل عمران : ١١٠.

([١٨٣]) سورة الحج : ٤٠ ــ ٤١.

([١٨٤]) سورة آل عمران : ١٠٤.

([١٨٥]) سورة التوبة : ٧١.

([١٨٦]) سورة فصلت : ٢٦.

([١٨٧]) سورة القمر : ٢.

([١٨٨]) سورة البقرة : ١٧٠.

([١٨٩]) سورة الصافات : ٦٩ ــ ٧٠.

([١٩٠]) سورة الأعراف : ٧٠.

([١٩١]) سورة الزخرف : ٢٢ ــ ٢٤.

([١٩٢]) المصدر السابق : آية ٢٢ ــ ٢٣ ــ ٢٤.

([١٩٣]) كمال الدين وتمام النعمة : ٤٠٩ .

([١٩٤]) الكافي : ١ / ٣٣٧.

([١٩٥]) الكافي : ١ / ١٩٦.

([١٩٦]) سورة الأنعام : ٢٩.

([١٩٧]) سورة الجاثية : ٢٤.

([١٩٨]) سورة الذاريات : ٥٦.

([١٩٩]) سورة هود : ٦١.

([٢٠٠]) سورة يونس : ١٤.

([٢٠١]) سورة القيامة : ٣٦ ــ ٤٠.

([٢٠٢]) سورة القصص : ٧٧.

([٢٠٣]) عوالي اللآلي : ١ / ٢٦٧.

([٢٠٤]) سورة الروم : ٣١ ــ ٣٢.

([٢٠٥]) سورة المؤمنون : ٥٣.

([٢٠٦]) سورة الأنعام : ٦٥.

([٢٠٧]) سورة آل عمران : ١٠٣.

([٢٠٨]) سورة الأنفال : ٦٢ ــ ٦٣.

([٢٠٩]) سورة البقرة : ٩٤ ــ ٩٦.

([٢١٠]) سورة الجمعة : ٦ ــ ٧.

([٢١١]) سورة الأحزاب : ١٩.

([٢١٢]) سورة الجمعة : ٨ .

([٢١٣]) سورة الاحزاب : ١٦.

([٢١٤]) سورة النساء : ٧٨.

([٢١٥]) سورة آل عمران : ١٥٤.

([٢١٦]) سورة آل عمران : ١٠٣.

([٢١٧]) سورة النساء : ٧٨.

([٢١٨]) سورة الجمعة : ٨ .

([٢١٩]) سورة البقرة : ٢١٤.

([٢٢٠]) سورة يوسف : ٨٧ .

([٢٢١]) سورة الحجر : ٥٦.

([٢٢٢]) سورة غافر : ٥١.

([٢٢٣]) سورة النساء : ٧٩.

([٢٢٤]) سورة الرعد : ١١.

([٢٢٥]) سورة آل عمران : ١١٧.

([٢٢٦]) سورة يوسف : ١٠٣.

([٢٢٧]) سورة الأنعام : ١١٦.

([٢٢٨]) سورة يوسف : ١٠٦.

([٢٢٩]) سورة النساء : ٨٣ .

([٢٣٠]) تهذيب الاحكام : ٦ / ١٧٦.

([٢٣١]) سورة محمد : ١٠.

([٢٣٢]) سورة آل عمران : ١١.

([٢٣٣]) سورة الرحمن : ٦٠.

([٢٣٤]) سورة الاعراف : ٩٦.

([٢٣٥]) سورة الممتحنة : ١٣.

([٢٣٦]) سورة الأنعام : ١٥٣.

([٢٣٧]) سورة الحديد : ١٦.

([٢٣٨]) سورة الدخان : ٢٥ ــ ٢٩.

([٢٣٩]) سورة البقرة : ٢١٩.

([٢٤٠]) سورة النساء : ٤٣.

([٢٤١]) سورة المائدة : ٩٠.

([٢٤٢]) سورة الأعراف : ١ ــ ٢.

([٢٤٣]) سورة هود : ١٢.

([٢٤٤]) سورة النحل : ١٢٧ ــ ١٢٨.

([٢٤٥]) سورة آل عمران : ١٨٦.

([٢٤٦]) سورة الطور : ٤٨.

([٢٤٧]) سورة يوسف : ٩٢.

([٢٤٨]) تفسير نور الثقلين : ٢ / ٤٦٠.

([٢٤٩]) سورة الأنفال : ٦٥.

([٢٥٠]) سورة الأنفال : ٦٦.

([٢٥١]) سورة النساء : ١٠٤.

([٢٥٢]) سورة الحشر : ٢.

([٢٥٣]) سورة التوبة : ١٢٠ ــ ١٢١.

([٢٥٤]) سورة يونس : ١٠٣.

([٢٥٥]) وهذه الآية تمثل الاطار العام لهذه المقابلة ا المؤمنين لهم مولى يرعاهم ويتولى تربيتهم وسعادتهم وصلاحهم وهو الله تبارك وتعالى بينما الكفار لا مولى لهم وانما مولاهم الشيطان الضعيف الذي يفر عند المواجهة ويخذلهم } وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمَالَهُمْ وَقالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللّهَ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ{. سورة الأنفال : ٤٨.

([٢٥٦]) سورة محمد : ١ ــ ١٤.

([٢٥٧]) سورة النور : ٥٥ .

([٢٥٨]) سورة الأنفال : ٤٩.

([٢٥٩]) سورة القصص : ٥ ــ ٦.

([٢٦٠]) سورة آل عمران : ١٥٥.

([٢٦١]) سورة محمد : ٧.

([٢٦٢]) سورة النور : ٥٥.

([٢٦٣]) وسائل الشيعة : ١١ / ١٢٢.

([٢٦٤]) وهو : الشيخ جودة سعيد.

([٢٦٥]) سورة الأعراف : ١٦ ــ ١٧.

([٢٦٦]) المصدر الواقعة : ٥٨ ــ ٧٢.

([٢٦٧]) سورة الرحمن : ٦٠.

([٢٦٨]) سورة ابراهيم : ٣٤.

([٢٦٩]) سورة التوبة : ١٢٢.

([٢٧٠]) سورة الأعراف : ١٧٥ ــ ١٧٦.

([٢٧١]) سورة سورة التوبة : ٨٧ .

([٢٧٢]) سورة الأعراف : ١٧٩.

([٢٧٣]) سورة الأنفال : ٦٥.

([٢٧٤]) وسائل الشيعة : ٤ / ٨٢٩ .

([٢٧٥]) مدينة البلاغة : ص٩٨ ، عن كتاب الجعفريات.

([٢٧٦]) الخصال : ص١٢٩.

([٢٧٧]) المصدر السابق : ص١٥٨.

([٢٧٨]) وسائل الشيعة : ٤ / ٨٣٧ .

([٢٧٩]) كتاب الصلاة : ابواب قراءة القرآن، باب ٨ ، حديث ٦.

([٢٨٠]) مستدرك الوسائل : ١٣ / ١٢٤.

([٢٨١]) سورة المائدة : ٧٩ ــ ٧٨.

([٢٨٢]) الميزان في تفسير القرآن : ٦ / ٨٤ ، عن كتاب الدر المثور.

([٢٨٣]) سورة الاسراء : ١٠٦.

([٢٨٤]) الكافي : ٢ / ٦٠٥.

([٢٨٥]) سورة آل عمران : ٢٠٠.

([٢٨٦]) وسائل الشيعة : ١ / ٢٦٨.

([٢٨٧]) وسائل الشيعة : ٤ / ٨٢٥ .

([٢٨٨]) المصدر السابق.

([٢٨٩]) المصدر السابق.

([٢٩٠]) المصدر السابق : ٤ / ٨٢٦ .

([٢٩١]) المصدر السابق.

([٢٩٢]) المصدر السابق.

([٢٩٣]) المصدر السابق : ٤ / ٨٣٢ .

([٢٩٤]) المصدر السابق : ٤ / ٨٢٧ .

([٢٩٥]) المصدر السابق : ٤ / ٨٢٨ .

([٢٩٦]) المصدر السابق.

([٢٩٧]) المصدر السابق : ٤ / ٨٢٩ .

([٢٩٨]) المصدر السابق : ٤ / ٨٢٩ .

([٢٩٩]) المصدر السابق : ٤ / ٨٣٠ .

([٣٠٠]) المصدر السابق.

([٣٠١]) المصدر السابق.

([٣٠٢]) مستدرك الوسائل : ٤ / ١٦٥.

([٣٠٣]) وسائل الشيعة : ٢ / ٨٨٢ .

([٣٠٤]) جامع احاديث الشيعة : كتاب الصلاة ، ابواب زيارة القبور ، باب ٢ وفيه عشرة احاديث.

([٣٠٥]) وسائل الشيعة : ٤ / ٨٣٣ .

([٣٠٦]) نهج السعادة : ٧ / ٢٢٣.

([٣٠٧]) وسائل الشيعة : ٣ / ٤٨١ .

([٣٠٨]) وهم هؤلاء الذين يدققون في قواعد التجويد التي وضعوها وغفلوا عن معاني ما يقرأون .

([٣٠٩]) وسائل الشيعة : ٤ / ٨٣٦ .

([٣١٠]) المصدر السابق : ٤ / ٨٣٥ .

([٣١١]) المصدر السابق : ٤ / ٨٤٤ .

([٣١٢]) المصدر السابق : ٤ / ٨٤٠ .

([٣١٣]) المصدر السابق.

عن الشافي في شرح اصول الكافي للشيخ عبد الحسين المظفر.

([٣١٤]) وسائل الشيعة : ٤ / ٨٣٩ .

([٣١٥]) المصدر السابق .

([٣١٦]) المصدر السابق : ٤ / ٨٥٢ .

([٣١٧]) المصدر السابق : ٤ / ٨٤٦ .

([٣١٨]) المصدر السابق : ٤ / ٨٤٧ .

([٣١٩]) المصدر السابق : ٤ / ٨٤٨ .

([٣٢٠]) المصدر السابق.

([٣٢١]) سورة النحل : ٩٨.

([٣٢٢]) وسائل الشيعة : ٤ / ٨٤٨ .

([٣٢٣]) المصدر السابق : ٤ / ٨٤٩ .

([٣٢٤]) المصدر السابق.

([٣٢٥]) المصدر السابق : ٤ / ٨٥٠ .

([٣٢٦]) المصدر السابق : ٤ / ٨٥١ .

([٣٢٧]) المصدر السابق : ٤ / ٨٥٣ .

([٣٢٨]) المصدر السابق.

([٣٢٩]) المصدر السابق : ٤ / ٨٥٤ .

([٣٣٠]) المصدر السابق.

([٣٣١]) المصدر السابق : ٤ / ٨٥٥ .

([٣٣٢]) سورة المزمل : ٤ .

([٣٣٣]) وسائل الشيعة : ٤ / ٨٥٦ .

([٣٣٤]) سورة البقرة : ١٢١.

([٣٣٥]) وسائل الشيعة : ٤ / ٦٣ .

([٣٣٦]) المصدر السابق.

([٣٣٧]) المصدر السابق : ٤ / ٨٥٧ .

([٣٣٨]) المصدر السابق.

([٣٣٩]) المصدر السابق : ٤ / ٨٦٠ .

([٣٤٠]) المصدر السابق : ٤ / ٨٥٨ .

([٣٤١]) المصدر السابق.

([٣٤٢]) المصدر السابق : ٤ / ٨٦١ .

([٣٤٣]) المصدر السابق.

([٣٤٤]) المصدر السابق : ٤ / ٨٦٢ .

([٣٤٥]) مما قرأه في شهر رمضان.

([٣٤٦]) وسائل الشيعة : ٤ / ٨٦٤ .

([٣٤٧]) سورة الزمر : ٧١.

([٣٤٨]) المصدر السابق : ٤ / ٨٦٥ .

([٣٤٩]) تفسير الصافي : ١ / ٣١.

([٣٥٠]) وسائل الشيعة : ٤ / ٨٦٣ .

([٣٥١]) خطبة ١٥٨ ، من الجزء الأول.

([٣٥٢]) وسائل الشيعة : ٤ / ٨٧٣ .

([٣٥٣]) ارشاد القلوب : ص٧٨.

([٣٥٤]) وسائل الشيعة : ٤ / ٨٥٣ .

([٣٥٥]) المصدر السابق : ٤ / ٨٦٣ .

([٣٥٦]) المصدر السابق : ٧ / ٢٢٨.

([٣٥٧]) سورة البقرة : ١٢١.

([٣٥٨]) سورة ص : ٢٩.

([٣٥٩]) الميزان في تفسير القرآن : ١ / ٢٦٠ ، عن ارشاد القلوب للديلمي.

([٣٦٠]) المصدر السابق : ٢٠ / ٢٦٢.

([٣٦١]) نهج البلاغة : خطبة رقم ١١٠.

([٣٦٢]) سورة القيامة : ٢٧.

([٣٦٣]) الصحيفة السجادية : دعائه ((عليه السلام)) عند ختم القرآن.